قسم اللغة العربية

الأضداد في المفردة القرآنية

دراسة بلاغية

دكتور
يوسف عبد اللطيف يوسف
مدرس البلاغة والنقد
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين بدسوق

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، والصلاة والسلام على رحمة الله للعالمين؛ سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن اتبع هداه وسار على نهجه إلى يوم الدين وبعـــــــد...؛

فالقرآن كتاب الله المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، لا تنقضي عجائبه، ولا تنتهي بدائعه، ولا تنفد أسراره، ولا يخلق عن كثرة الرد؛ وجوه إعجازه لا تحصى ولا تعد، منها: جمال نظمه، وبديع تأليفه، وروعة بيانه، وحسن تصاريفه في شتى وجوه الكلام: من دقة المفردات وجمالها، وتجاور الكلمات وحُسن سبكها، وفواصل الآيات وبراعة نظمها، وما فيه من نغم آسر، ودقة التصوير، وبراعة التخييل، والفصل والوصل، وتناسب المطالع والمقاطع...إلخ، وقد أفاضت الدراسات البلاغية على مر العصور في الكشف عن وجوه بلاغته وأسرار إعجازه.

وباب بلاغة المفردة القرآنية باب واسع، ومبحث طريف، كاد يتفق العلماء والباحثون على أنه سر الفصاحة وموطن الإعجاز؛ بيد أن باب (الأضداد في المفردة القرآنية) مازال محل بحث ونظر، وجدل وخلاف، وإثبات ونفي، وقد استند رافضو الأضداد في القرآن إلى أنه يُحدث لبسًا في الفهم وإشكالًا في المعنى، ويتعارض مع البيان والوضوح وهو المقصد الأسمى للبيان القرآني. فهل حقًا كانت الأضداد تعوق تدفق المعاني وتُحدث إشكالًا ولبسًا يحول دون وضوحها؟ وهل جرى القرآن الكريم في استخدامه الأضداد على منهج العرب؟ وما الأسرار البلاغية والفوارق الأسلوبية في توظيف القرآن للأضداد؟ هذه الأسئلة وغيرها دفعتني لإنجاز هذه الدراسة والسير في هذا الطريق راجيًا من الله التوفيق.

هذا وقد قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة وفهرسين على النحو التالي:

المقدمة: وفيها سبب الكتابة في الموضوع، وخُطَّة البحث بالتَّفصيل.

التمهيد: الأضداد الأهمية والمكانة.

المبحث الأول: الأضداد المصطلح وإشكالاته.

والمبحث الثاني: الأضداد في البلاغة العربية.

المبحث الثالث: الأضداد في المفردة القرآنية دراسة بلاغية.

الخاتمة: وفيها نتائج هذا البحث. ثم تلاها فهرسا المراجع والموضوعات.

ومن الجدير بالذكر لأني جمعت مع حديثي عن الأضداد في المفردة القرآنية الأضداد في اللغة والبلاغة العربية، وجعلته سابقًا عليه لأن الظاهرة في القرآن لا تظهر أسرارها بمعزل عن ذلك.

وقد واجهت البحث صعوبات شتَّى لتعدد المصادر والمراجع اللغوية ونقل بعضها عن بعض، ناهيك عن أنَّ دراسة الأضداد في البلاغة العربية فيها من التداخل والتفريق مما يضاعف عناء الباحث، فحاولت لم شعثه، وجمع متفرقه، وعرضت للظاهرة شواهد من القرآن والسنة المشرفة والشعر علها تلفتُ العلماء والدارسين إلى الظاهرة وجدواها، ثم قدمت تحليلا لآيات من القرآن الكريم تتجلى فيها ظاهرة الأضداد، مبرزًا دورها في إثراء المعنى.

والله من وراء القصد

دكتور/ يوسف عبد اللطيف يوسف

التمهيد

الأضداد الأهمية والمكانة

الأضداد لون من ألوان المشترك اللفظي، وهو من عوامل إثراء اللغة، وتنويع معانيها، وتوسيع دلالات ألفاظها، فتجد اللفظ الواحد له معان كثيرة ومتنوعة، وقد يصل الاختلاف والتباين في المعنى إلى التضاد، والمشترك من عوامل تنمية أسرار اللغة ومناسبتها لشتى العصور؛فالألفاظ متناهية، والمعاني غير متناهية بل متجددة وممتدة ومتنوعة. وقد تحدث العلماء عن المشترك اللفظي – ومنه الأضداد – في كتب أصول الفقه، وفقه اللغة، والمدونات اللغوية الكبرى، مثل: المخصص والقاموس المحيط ولسان العرب والصاحبي، ومنهم من خص الأضداد بمؤلف وهم كثر[1]

(1) مثل: قطرب، والفراء، وأبوعبيدة معمر بن المثنى، والأصمعي، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وأبو محمد عبد الله التوزري، وابن السكيت، وأبو حاتم السجستاني، وأبو العباس ثعلب، وأبو علي عبيد بن زكوان العسكري، وأبو بكر ابن الأنباري، وابن درستويه، وأبوالطيب اللغوي،والآمدي، وأبو الحسن الرازي، وابن الدهان، وأبو البركات الأنباري، والصغاني،والعتائقي، وشمس الدين محمد بن أحمد بن شرف الدين المدني، وجمال الدين المنشي، والقاضي تقي الدين المصري، وملا حسن تقي الدين التميمي المصري، ومحمد بن محمود بن صالح الطربزوني، وحسن علي قفطان، وعبد الهادي نجا، شهاب الدين الخليجي، والميرز االتنكابني، وعبد الله بن محمد، وغيرهم، وبحوث للمستشرقين مثل: ردسلوب، وجيز، ونولدكه، وفايل، وندوة حول التضاد في السوربون، وداود كوهين، وبلاشير، ومن العرب المحدثين محمد حسين آل ياسين رسالة ماجستير، ومنصور فهمي، ومحمد أبوالفضل إبراهيم، وحسين محمد، وربحي كمال، وعبدالله الجبوري، ومحمد نور الدين المنجد، وقد اعتمدت على إحصائه للمؤلفات في الأضداد لأنها أدق وأشمل وإن كان معظم من تكلم عن الأضداد ذكر أغلب المؤلفين فيها التضاد في القرآن الكريم – محمدنور الدين المنجد – دار الفكر دمشق ط١ ١٤٢٠هـ١٩٩٩م ص١٥-٢٤ والمعجم المفصل في الأضداد دراسة صوتية، وأحمد الفيومي، والمعجم المفصل في الأضداد، وأنطونيوس بطرس، ومدخل تعريف التضاد، وحسين نصار، ومجمع الأضداد، وعرفان مطرجي، والاشتراك والتضاد في القرآن الكريم دراسة إحصائية، وأحمد مختار عمر، والأضداد في اللغة د / محمد حسين آل ياسين ــ المعارف ــ بغداد ــ ط١ ١٣٩٤هـ١٩٧٤م وغيرها من الكتب التي تحمل هذا العنوان، هذا إلى جانب دراسات أفردت للأضداد أبوابا خاصة مثل الغريب المصنف لابن سلام ٦٢٢/٣وأدب الكاتب لابن قتيبة ص ــ٢٠٨، وفقه اللغة للثعالبي ص ــ ٣٤٨ =والمخصص

وقد تشعبت المؤلفات وتنوعت الدراسات حول الأضداد، وكيفية دلالتها على المعاني، وقد اختلف العلماء في حقيقة وجودها فهناك من أثبتها في اللغة – بوجه عام – ومنهم من نفى وجودها، وقلل من قيمتها، فممن أنكر وجودها ابن درستويه وغيره، وفي الحديث إبراهيم أنيس، ومنصور فهمي ومن تبعهم، وبعضهم وقف مترددا، وإن مال إلى الإنكار بمقاييس علمية كرد ألفاظ الأضداد إلى اختلاف اللهجات، أو التطور اللغوي والتغير الصوتي[1] وما استعمل للتفاؤل أو التهكم والسخرية أو اختلاف الصيغ التصريفية أو المجاز...وهناك من حاول رد جميع ألفاظ الأضداد في القرآن الكريم لكنه لم يستطع، وجاء عنوان كتابه"التضاد في القرآن الكريم" وهو يدل دلالة قاطعة على أنه من المؤيدين لنظرية التضاد، والحقيقة أن هذا من باب تسمية الملدوغ سليما.[2]

ومن الطريف أن ظاهرة الأضداد لها ما يؤيدها ويشايعها في الحسِّ العربي والبلاغة العربية؛ من ذلك استخدام اللفظ في المعنى وضده لدواع فنية وأسرار بلاغية، ذكر ابن جني أن أعرابيا رأى ثوباف قال: ماله؟ قبحه الله؟! قال فقلت له: لم تقول هذا؟ فقال إنا إذا استحسنا شيئا دعونا عليه.

=لابن سيده ٢٥٨/١٠، والمزهر للسيوطي ٣٨٧/١، وغيرها، وجل كتب فقه اللغة في العصر الحديث تحدثت عنه.

(1) ينظر الأضداد في اللغة العربية دراسة صوتية – أحمد الفيومي ط ١ – ١٤١٢ هـ ١٩٩١ م مطبعة السعادة، وهو معجم يبدأ بالهمزة وينتهي بالياء.

(2) التضاد في القرآن الكريم – محمد نور الدين المنجد ـ – ط١ – ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م – دار الفكر دمشق.

وأما ورود الذم في صورة المدح فكقوله تعالى:﴿إنك لأنت الحليم الرشيد﴾عنوا القوي السفيه تهكما وكذلك قولك رأيت أسدا أي جبانا على سبيل التملح والظَّرْف والاستهزاء [1]

وأورد ابن السِّيد البَطْلَيَوْسِيِّ أمثلة أخرى تعضِّد الظاهرة منها قوله: وأما ورود المدح في صورة الذم فكقوله أخزاه الله ما أشعره! لعنه الله ما أفصحه! وقول كعب بن سعد الغنوي:

هَوَتْ أُمُّهُ مَا يَبْعَثُ الصُّبْحُ غَادِيَا وَمَاذَا يَرُدُّ اللَّيْلَ حِينَ يَؤُوبُ[2]

والكلام في ذلك يطول والشواهد كثيرة[3] وهو ما يجعل ظاهرة الأضداد ممكنةً لغة وعقلا، ومن ناحية أخرى يضع في الاعتبار النقدي البُعد النفسي، والتوسيع على المتكلم، والرغبة في شحن النص بالمعاني المتناقضة، ودفع المتلقي إلى دائرة التأمل والتفكير، ويجعل منها قضايا بلاغية ترافق الظاهرة ولا تغيب عن الدارس، ومن ثم فإن هذه الظاهرة اللغوية والبلاغية الطريفة(الأضداد)شغلت الفكر اللغوي؛ فدارت في كتب اللغة والتفسير والفقه وعلى ألسنة الشعراء والأدباء، وتناولها العلماء الأصوليون بالشرح والتعليل والقول في حد الأضداد، ووجه دلالتها بين الحقيقة والمجاز، ونوع القرينة، والفرق بين القرينة في الأضداد والقرينة في المجاز، وموقع دلالة الأضداد من حيث القوة والضعف بالنسبة للمجاز والعام والخاص...الخ، في حين غابت الدراسات البلاغية عن رصد هذه الظاهرة وبيان أثرها في تحليل النص من وجهة بلاغية، وإن أشار بعض البلاغيين في حديثهم عن القرينة إلى الفرق بين القرينة في المجاز والقرينة في المشترك اللفظي، وتناولوها في بعض أبواب البلاغة

(1) الإنصاف – ابن السيد البطليوسي – تحـ محمد رضوان الداية – ط٣١٤٠٧هـ-١٩٨٧صـ، ١٠٦ وينظر جامع العبارات في تحقيق الاستعارات – أحمد مصطفى الطرودي التونسي – تح ـ محمد رمضان الحربي ـ مكتبة الآداب مصر ط١ ـ ٢٠١٠م ١٤٣١هـ صـ٢٧٣

(2) السابق ص١٠٥.

(3) ينظر: دراسات في فقه اللغة- محمد الأنطاكي ط٤ دار الشروق صـ٣١٢.

كالإبهام – ويسمى التوجيه أو محتمل الضدين – وبعض أبواب المجاز، والاستعارة التهكمية وغيرها[1] ولكن ذلك لا يعدو النظرة الجزئية المبعثرة بعيدًا عن التأطير والتنظير والتحليل والنظرة الكلية المستوعبة للظاهرة من كافة جوانبها، وهو ما يطرح عدة أسئلة جديرة بالمناقشة حول الظاهرة وحدودها مثل: ما مفهوم الأضداد؟ وهل الدلالة في الأضداد من قبيل الحقيقة أم من قبيل المجاز؟ وكيف رصدها الدرس البلاغي؟...إلخ.

(1) ينظر على سبيل المثال: أسرار البلاغة الجرجاني – تح: شاكر ص ــ٣٩٥ــط دار المدني د.ت، ومفتاح العلوم للسكاكي–تح: نعيم زرزور ص ٣٦٠ –ط دار الكتب العلمية ١٤٠٧هــ–١٩٨٧م، وشروح التلخيص ١٢/٤ دار الكتب العلمية.

المبحث الأول

الأضداد المصطلح وإشكالاته

الأضداد لغة: جمع واحده الضد، والضد: يكون واحدًا وقد يكون جماعة. وضد الشيء: خلافه. والضد: كل شيء ضاد شيئًا ليغلبه، والسواد ضد البياض، والموت ضد الحياة. وضد الشيء:الذي يضاده ويخالفه. والضد: المخالف والمنافي والمثل والنظير والكفء والجمع أضداد. ويقال هَذَا اللفظ من الأضداد من المُفردات الدالة على معنيين متباينين كالجون للأسود والأبيض[1] فالمعنى اللغوي للأضداد واسع يدور حول عدة أمور كالتقابل والتناظر والتكافؤ والاختلاف.

أما الأضداد اصطلاحًا:فثمة حديث طويل للعلماء في كتب الأضداد دون تعريف للظاهرة أو حديث عن حدِّها أحيانًا، أو دراسة الظاهرة ضمن المشترك اللفظي أحيانًا أخرى، ولكننا وسط ذلك لم نعدم رؤية دقيقة واضحة؛فقد أطلقه كثير من فقهاء اللغة وعلماء العربية على الألفاظ التي يدل كلّ منها على معنيين متقابلين "متضادين "قال قطرب بعد أن ذكر أن اللفظ الواحد يدل على معنيين فصاعدًا: "...ومن هذا اللفظ الواحد الذي يجيء على معنيين فصاعدًا ما يكون متضادًا في الشيء وضده"[2] وتعريفه يدل على أنه نوع من الألفاظ التي تدل على معنيين متضادين لكنه لم يُفصِّل في تحديد المصطلح ولم يذكر محترزاته.

ودونه في الدقة قول أبي بكر ابن الأنباري الأضداد: " الحروف التي توقعها العرب على المعاني المتضادة، فيكون الحرف منها مؤديًا عن معنيين مختلفين"[3] (فمختلفين) في تعريفه تصلح للمشترك اللفظي كله، ونلقى تطورًا ملحوظًا ونظرة دقيقة في قول أبي الطيب اللغوي: " والأضداد جمع ضد، وضد كل شيء ما نافاه،

---

(1) ينظر: معجم العين، الصحاح، تهذيب اللغة، جمهرة اللغة، لسان العرب، تاج العروس، المعجم الوسيط مادة(ض د د).

(2) الأضداد لأبي علي محمد بن المستنير(قطرب)-تحـ حنا حداد- ص٧٠-ط١ دار العلوم للطباعة والنشر الرياض ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

(3) الأضداد – ابن الأنباري – ص١- تحـ محمد أبو الفضل إبراهيم – المكتبة العصرية – هـ١٤٠٧-١٩٨٧م.

نحو البياض والسواد، والسخاء والبخل، والشجاعة والجبن، وليس كل ما خالف الشيء ضدا له، ألا ترى أن القوة والجهل مختلفان وليسا ضدين، وإنما ضد القوة الضعف، وضد الجهل العلم، فالاختلاف أعم من التضاد، إذ كل متضادين مختلفين، وليس كل مختلفين ضدين "[1] وعنده استقرت الأضداد في الدلالة على المعاني المتقابلة فحسب.والضدية نوع من العلاقة بين المعاني، بل ربما كانت أقرب إلى الذهن من أية علاقة أخرى فمجرد ذكر معنى من المعاني، يدعو ضد هذا المعنى إلى الذهن، ولاسيما الألوان فذكر البياض يستحضر في الذهن السواد.فعلاقة الضدية من أوضح الأشياء في تداعي المعاني، فإذا جاز أن تعبر الكلمة الواحدة عن معنيين بينهما علاقة ما، فمن باب أولى جواز تعبيرها عن معنيين متضادين؛ لأن استحضار إحداهما في الذهن يستتبع عادة استحضار الآخر[2] ومن ثم فالتضاد يعتبر من أقوى العلاقات في تداعي المعاني إلى الذهن.

---

(1) الأضداد في كلام العرب- أبو الطيب علي بن عبد الواحد اللغوي -ص٣٣- تحـ عزة حسن-ط٢ المجمع العلمي دمشق ١٩٩٦م.

(2) في اللهجات العربية ـ إبراهيم أنيس ـ الأنجلو المصرية ـ٢٠٠٣ م ص ١٧٩.

وقد أنكر آل ياسين كون التضاد نوعا من المشترك ينظر الأضداد في اللغة - محمد حسين آل ياسين ط١ ١٣٣٤ه-١٩٧٤ م مطبعة المعارف بغداد ص ١٠٢ وتعقبه بالرد عليه محمد نور الدين المنجد ينظر التضاد في القرآن الكريم صـ٢٧ (وقد درس كثير من اللغويين القدماء والمحدثين الأضداد عند دراستهم للمشترك ونصوا على أنه نوع منه يقول قطرب "والوجه الثالث أن يتفق اللفظ ويختلف المعنى فيكون اللفظ الواحد على معنيين فصاعدا..ومن هذا اللفظ الواحد الذي يجيء على معنيين فصاعدا ما يكون متضادا في الشيء وضده " كتاب الأضداد قطرب تحـ حنا حداد دار العلوم الرياض ط١ ١٤٠٥ ه ١٩٨٤م صـ٧٠ وينظر المزهر ٣٨٧/١ النوع السادس والعشرون معرفة الأضداد: هو نوع من المشترك " وينظر المشترك اللغوي نظريا وتطبيقا ـ توفيق شاهين ـ مكتبة وهبة ـ مصر ط١ ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م ص١٣١ و ١٣٣ وما بعدها.

الأضداد ظاهرة لغوية عامة:

ذهب بعض اللغويين إلى أن الأضداد ظاهرة تنفرد بها اللغة العربية؛إذ " لا وجود لهذه الظاهرة –فيما أعلم – في غير اللغة العربية من اللغات الأخرى؛ ولهذا نرى الشُّعوبيين يعيبون العربية بما فيها من كلمات التضاد؛لانفرادها بهذه الظاهرة، وهم لم يتحدثوا عما فيها من ترادف أو اشتراك لفظي بخير أو شر؛لأن لغاتهم الفارسية وغيرها لا تخلو من أمثلة لهاتين الظاهرتين[١]وذهب كثير من العلماء إلى تأكيد هذا الرأي.[٢]

وهذا الانفراد محل نظر من كثير من اللغويين؛حيث ثبت عدم تفرد العربية بظاهرة الأضداد، وأن ما يعد منقصة للعربية أو طريقا للازدراء بالعرب موجود في غيرها من اللغات.

يقول حسين نصار: هل تعد هذه الألفاظ ظاهرة خاصة يجدر بها التسجيل بين الظواهر اللغوية؟ أعتقد أن أحدا لا ينكر هذا أيضا وأضيف إلى ذلك أن هذه الظاهرة لا تنفرد بها اللغة العربية، بل توجد في بعض اللغات السامية كما كشف بعض المستشرقين، وفي بعض اللغات الأوربية، كما كشف الأستاذ عبد الفتاح بدوي، وإذن فوجود الأضداد ليس منقصة للغة العربية كما ظن الشعوبيون قديما، وكما يفهم من أقوال بعض المستشرقين حديثا [٣]

---

(1) فصول في فقه اللغة العربية – رمضان عبد التواب – ط ٦ –١٤٢٠ هـ ١٩٩٩م – الخانجي – مصر صـ ٣٣٧و٣٣٨.

(2) يقول "وإذن فالتضاد ــ على ضآلة مقداره ــ أصبح وسيلة من وسائل التنوع في الألفاظ والأساليب ووسع تنوع استعماله دائرة التعبير في العربية فكان بهذا المعنى خصيصة من خصائص لغتنا في مرانتها وطواعيتها في التنقل بين السلب والإيجاب والتعكيس والتنظير وهو ما ليس له في اللغات الحية نظير " دراسات في فقه اللغة– صبحي الصالح – دار العلم للملايين بيروت ط١٦– ٢٠٠٤م ص ٣١٣.

(3) مدخل تعريف الأضداد –حسين نصار ط١ ١٤٢٣١هـ ٢٠٠٣ م – مكتبة الثقافة الدينية مصر صـ ١٤٥.

ويذكر أحمد مختار عمر أنه "على الرغم من وجود ظاهرة استخدام اللفظ الواحد في معنيين متضادين في كل اللغات، فإن الاهتمام الذي لاقته هذه الظاهرة من اللغويين المحدثين كان ضئيلا "[١] وأما ستيفن أولمان فيقول " ومن المعروف أن المعاني المتضادة للكلمة الواحدة قد تعيش جنب إلى جنب لقرون طويلة دون إحداث أي إزعاج أو مضايقة"[٢]على أن التضاد أمر مسلم به في جميع اللغات سواء في ذلك العربية والفرنسية وغيرهما[٣]

وقد ثبت بالدليل القاطع أن الأضداد ظاهرة موجودة في السامية يقول ربحي كمال: "في هذه الدراسة أمكنني العثور على ألفاظ عبرية وسريانية تدل على المعنى وضده"[٤]

"وللمستشرق نولدكه بحث قيم في الأضداد سنة ١٩١٠م، تعرض فيه ــ أيضا ــ للأضداد في اللغات السامية "[٥] وأوقفنا على خطأ من قالوا بأنه لا تضاد في العربية ولا في غيرها.. وظهر أن التضاد كما هو في العربية في غير العربية[٦] ثم عقد فصلا للألفاظ التي تدل على المعنى وضده في العربية وتدل نظائرها على أحد المعنيين في العبرية أو في السريانية.[٧]

الأضداد بين الإثبات والنفي:

أيد كثير من القدماء وقوع الأضداد في اللغة منهم "ابن الأعرابي، أبو عبيد، أبو زيد الأنصاري، الخليل بن أحمد، سيبويه، ابن الأنباري، ابن دريد، السيوطي "

(1) علم الدلالة – أحمد مختار عمر – عالم الكتب ــ ط٥ ــ ١٩٩٨م ص ١٩١.
(2) ينظر دور الكلمة في اللغة ستيفن ألمان – كمال بشر – دار الشباب – ط – د ت ص ١١٨ وقد ذكر أمثلة من اللاتينية والإنجليزية.
(3) دراسات في فقه اللغة محمد الأنطاكي ط ٤ دار الشروق بيروت ط دت– صـــ ٣١٢.
(4 التضاد في ضوء اللغات السامية دراسة مقارنة / ربحي كمال دار النهضة العربية ١٩٧٥م.
(5) السابق ص ١٤٠.
(6 التضاد في ضوء اللغات السامية دراسة مقارنة ص١٤٦.
(7) المشترك اللغوي – توفيق شاهين – ص١٤٥.

وغيرهم[١] وأنكره ابن درستويه وبعض القدماء ومن المحدثين في العصر الحديث إبراهيم أنيس يقول: " وحين نحلل أمثلة التضاد في اللغة العربية ونستوضحها جميعا، ثم نحذف منها ما يدل على التكلف والتعسف في اختيارها يتضح لنا: أن ليس بينها ما يفيد التضاد بمعناه العلمي الدقيق إلا نحو عشرين كلمة في كل اللغة، ومثل هذا المقدار الضئيل من كلمات اللغة لا يستحق عناية أكثر من هذا، لاسيما وأن مصير كلمات التضاد إلى الانقراض من اللغة، وذلك بأن تشتهر بمعنى واحد من المعنيين مع مرور الزمن[٢] ويقول عبد الفتاح بدوي:"وإننا لنتحدى الذين يزعمون أن في اللغة أضدادا، ونباهلهم بجميع كلمات اللغة العربية، أن يأتوا بلفظ واحد له معنيان متقابلان بوضع واحد، فإن لم يفعلوا ولن يفعلوا فليس في اللغة تضاد ".[٣]

وهذا كلام مبني على رؤية رافضة للأضداد، تحاول التقليل من قيمته الدلالية والجمالية متجاهلة رؤية المبدع الذي يعمد أحيانا إلى الإلغاز والتعمية والإبهام لظروف اجتماعية، ودواعي أسلوبية، والمتكلم عموما عندما يتفاعل، أو يلبس الذم أثواب المدح؛ ليغدو أشد إيلاما وأعمق تأثيرا، بل إن طريقة نطق الكلمة نفسها، والتنغيم الذي قد يصاحبها يجعلها تؤدي نقيض مدلولها الوضعي، فيفهم منها السخرية والتهكم والاستغراب والدهشة "فللنغمة دلالة وظيفية على معاني الجمل تتضح في صلاحية الجمل التأثرية...المختصرة نحو: لا! نعم! الله!...إلخ إذا قيلت بنغمات متعددة، فيتغيّر معناها النحوي والدلالي مع كل نغمة بين الاستفهام والتوكيد والإثبات لمعانٍ متعددة مثل: الحزن والفرح والشكّ والتأنيب والاعتراض والتحقير, وهلمَّ جرا، حيث تكون النغمة هي العنصر الوحيد الذي تسبَّب عنه تباين هذه المعاني؛ لأن هذه الجملة لم تتعرَّض لتغيّر في بنيتها، ولم يضف إليها، أو يستخرج

(1) مجلة المجمع – منصور فهمي "الأضداد " ٢/٢٣٢.

(2) في اللهجات العربية ــ إبراهيم أنيس – صـــ١٨٥و الأضداد في اللغة آل ياسين ــ صـــ ٥٦ــ- ٢٩٩.

(3) دراسات في فقه اللغة صبحي الصالح دار العلم للملايين ط١٦ ٢٠٠٤م صـــ ٣١٩ و٣١٣.

منها شيء مؤلم يتغير فيها إلّا التنغيم، وما قد يصاحبه من تعبيرات الملامح وأعضاء الجسم مما يعتبر من القرائن الحالية[١]وقد تتعدد المعاني وتتنوع وكلها مراد الكاتب مادام النص يحتملها، ولا يعين دلالة محددة دون غيرها، يقول الشريف المرتضى " ولا يستبعد حمل الكلام على بعض ما يحتمله إذا كان له شاهد في اللغة وكلام العرب؛ لأن الواجب على من يتعاطى غريب الكلام والشعر، أن يذكر كل ما يحتمله الكلام من وجوه المعاني، ويجوز أن يكون أراد المخاطب كل واحد منها منفردا، وليس عليه العلم بمراده بعينه؛ فإن مراده مغيب عنا، وأكثر ما يلزمه، ما ذكرناه من ذكر وجوه احتمال الكلام "[٢]

كما أن اللغة لا تستقيم إلا بوجود المشترك ــ ومنه الأضداد ــ يقول السيوطي: " ومن الناس من أوجب وقوعه..؛ لأن المعاني غير متناهية والألفاظ متناهية "[٣]ويبين ذلك في موضع آخر بقوله: "ذلك لأن هذه الكلمات متناهية ومواردها ومصادرها متناهية فدعت الحاجة إلى وضع الألفاظ المشتركة فجعلوا عبارة واحدة (لفظة) لمسميات عدة؛ كالعين، والجون، واللون.."[٤]

الأمر الآخر: أن ألفاظ الأضداد وردت في القرآن الكريم وقد تكفل المولى ــ جل في علاه – بحفظه حتى قيام الساعة مما يحيل اندثار الأضداد أو موت شواهده، وقد

---

(1) اللغة العربية مبناها ومعناها – تمام حسان – دار الثقافة –المغرب ص٢٢٨يقول محمد العبد ومفارقة النغمة تعني أداء المنطوق ــ على الكلية ــ بنغمة تهكمية يعول عليها في إظهار التعارض أو التضاد بين ظاهر المنطوق وباطنه بين سطحه وعمقه بحيث تقتلع النغمة التهكمية محتوى الظاهر لمصلحة الباطن المضاد...ومفارقة النغمة نوع من التهكم الذي يبدو ذما في ثوب المدح ويشير ليتش إلى أن هنالك نوعا آخر من مفارقة النغمة هو توجيه إهانة في كياسة أو أدب لال وم عليها ولكن يشترط البعد عن المغالاة والمبالغة. المفارقة القرآنية دراسة في بنية الدلالة محمد العبد دار الفكر ط١ ١٤١٥ه ١٩٩٤ م صـــ٥٣.

(2) أمالي المرتضى في التفسير والحديث والأدب – ط١ ١٣٢٥هـــ ١٩٥٧ م – الخانجي١/١٤.

(3) المزهر ١/٣٦٩.

(4) المزهر ١/٣٧.

ورد في السنة المطهرة وفي الشعر العربي القديم الذي يستشهد به باعتراف المنكرين أنفسهم!

ولو تناول المنكرون الألفاظ التي فسرت بالأضداد بنظرة موضوعية، بعيدة عن الهوى، ونظروا إلى السياق وقرائن الأحوال، وما يستدعيه النص من انفتاح في الدلالة قد لا تلائم ــ أحيانا – رؤيتهم؛ لكنها تخدم النص في ظلال المناهج الأدبية واللغوية والتطورات العلمية، ومستحدثات العصر في مناحي الحياة المختلفة، ومراعاة أحوال الناس. خاصة أن دلالة الأضداد لا تحمِّل اللفظ معنى لا يحتمله، أو دلالة غريبة لا تفهم عند إطلاقه، وإنما تفهم بمعونة دلالة السياق وما يكتنفها من قرائن لأسدوا للعلم خيرًا كبيرًا، وربما تغيَّرت رؤيتهم.

إن النظرة الضيقة التي ترى أن القول بالأضداد في القرآن الكريم – خاصة – يؤدي إلى الإبهام والتعمية، وكلام الله مبني على الوضوح لا الإبهام والغموض "فلا يجوز أن نفسر[الكلمة] تفسيرين متضاربين في نفس السياق؛لأن كلام الله واضح وبين، وليس فيه إيهام للناس، ولو صح تفسير الكلمة تفسيرين متضاربين في نفس سياق القرآن؛ لأدى ذلك إلى مشاكل اجتماعية وأخطار إنسانية، والله يريد من وراء كتبه وحدة الأمة لا تفرقها.أضف إلى ذلك أن القرآن معجز بسياقه، أي أن مقام إطلاق السور يجهله المفسرون والعلماء، فتحدث الاجتهادات في التفاسير فمقام القارئ أو الشارح أو المفسر يمكن أن يكسب اللفظة معنى مضادا، كما أن جهل مقام المفسر "سياق الحال "يكون سببا في جعل اللفظ يكتسب معنى مضادا.(١)

وهذا رأي مبني على الافتراض العقلي أكثر من الواقع اللغوي، خاصة أن القرآن الكريم فيه ألفاظ كثيرة –كما سيأتي–لابد فيها من ازدواجية الرؤية، والنظر إلى جانبي المعني أو المعاني التي تحتملها اللفظة، ويرشح السياق لها ويؤيدها بل السياق

(1) الدلالة السياقية عند اللغويين– عواطف كنوش – دار السياب للطباعة لندن ط٧ ــ ٢٠٠٧ ص ــ٣٠٣.

نفسه –أحيانًا– يتطلب المعنى وضده حتى يؤدي المعنى تاما والمفهوم كاملا قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: «لَا يَفْقَهُ كُلَّ الْفِقْهِ حَتَّى يَرَى لِلْقُرْآنِ وُجُوهًا كَثِيرَةً»[1] اللفظ الواحد يحتمل معاني متعددة، ولا يقتصر به على ذلك المعنى بل يعلم أنه يصلح لهذا ولهذا "[2]وهو ما أثار دهشة الرافعي وعجبه: " والتضاد نوع من المشترك، وهو أعجب ما في أمر هذه اللغة؛ لأنه إيقاع اللفظ الواحد على معنيين متناقضين".[3]

وقد التفت توفيق شاهين إلى وضوح الظاهرة وأثرها في تنمية اللغة وتكثير المعاني القول: إن"الأمر في نظري يزيد على أربعمائة لفظة بكثير، وهذا ليس بالقدر اليسير في تنمية اللغة العربية، من باب أنه إذا كان التفاهم والتخاطب ممكننا بحوالي ثلاثة آلاف كلمة، فإن أكثر من أربعمائة كلمة في التضاد ليست بالأمر الهين في التنمية، حينما يرى المعنى في وجهين مختلفتين [4]والبحث والتقصي في ظل التطورات العلمية الحديثة يمكن أن يوقفنا على كثير من ألفاظ التضاد وشواهده وهذا أمر يحتاج إلى جهد خاص يخرج عن نطاق هذا البحث.

وقد قدم الدكتور محمد نور المنجد "تحليل ما يزيد عن مئة وثلاثين كلمة قرآنية، مستنبطة من كتب الأضداد"[5] فهذا العدد الهائل من الألفاظ التي قيل فيها بالأضداد ــ سواء ثبت فيها أو كان للعلماء فيها مقال – لا يمكن إغفاله، أو التقليل من أهميته في أداء المعاني، سيما أن بعضها من متطلبات النظم، ويوظف وفق مقتضيات الأحوال.

---

(1) مسند ابن أبي شيبة ١٤٢٠/٦.

(2) البرهان في علوم القران – الزركشي – محمد أبو الفضل إبراهيم – دار التراث ط٣ ١٩٨٤م –٢٠٨/٢.

(3) تاريخ آداب العرب – الرافعي – ط٤ – ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م–دار الكتاب العربي – ١٩٦/١.

(4) المشترك اللغوي ــ توفيق شاهين ص ــ ١٩ .

(5) التضاد في القرآن الكريم ــ محمد نور الدين المنجد " ص ــ٢٣٩.

لكن ينبغي في ظل الاعتراف بالظاهرة أن تدرس ألفاظ الأضداد في السياق الواردة فيه، وما يحتمله من وجوه التأويل التي تثري المعنى، وتعطيه أبعادا دلالية أعمق، يقول محمود سعد:"والسياق معين على التعيين أو الترجيح، وفي هذا إمتاع للمتأمل، وشرح لأقطار النظر، وإفساح لمجال المراجعة التي بها يتغازر المعنى، ويتنوع فيكون من كريم العطاء.(١)

قال أبو بكر بن الأنباري في أول كتابه: "هذا كتابُ ذكر الحروف [الألفاظ] التي تُوقعها العرب على المعاني المتضادّة، فيكون الحرفُ منها مؤدّياً عن معنيين مختلفين، ويظن أهلُ البدع والزيغ (والازدراء) بالعرب أن ذلك كان منهم لنُقْصان حكمتهم، وقلة بلاغتهم، وكثرة الالتباس في محاوراتهم عند اتصال مخاطباتهم، فيسألون عن ذلكَ ويحتجون بأن الاسم منبئ عن المعنى الذي تحته، ودالٌ عليه، وموضح تأويله فإذا اعتور اللفظة الواحدة معنيان مختلفان لم يعرف المخاطب أيهما أراد المخاطب، وبطل بذلك معنى تعليق الاسم على هذا المسمى. فأجيبوا عن هذا الذي ظنوه وسألوا عنه بضروب من الأجوبة:

(أحدها) – أن كلامَ العرب يصححُ بعضهُ بعضاً، ويرتبطُ أولُه بآخره، ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه واستكمال جميع حروفه، فجاز وقوع اللفظة الواحدة على المعنيين المتضادين؛ لأنها تتقدمها، ويأتي بعدها ما يدل على خُصُوصيَّة أحد المعنيين دون الآخر.ثم يقول:ومجرى حروف الأضداد مجرى الحروف التي تقع على المعاني المختلفة، وإن لم تكن متضادة فلا يعرف المعنى المقصود منها إلا بما يتقدم الحروف ويتأخر بعده، مما يوضح تأويله كقولك: حَملٌ (للواحد من الضأن) وحَمَل اسم رجل لا يُعرف أحد المعنيين إلا بما وصفنا.(٢)

---

(1) دلالة الألفاظ على المعني عند الأصوليين دراسة منهجية تحليلية ــ محمود توفيق ــ مكتبة وهبة مصر من ص ــ٢٢٥ إلى ص ــ٢٢٩.

(2) الأضداد – ابن الأنباري – ص٤.

يقول ابن فارس "ومن سُنَن العرب فِي الأَسماء أن يسمّوا المتضادَّين باسم واحد. نحو " الجَوْن " للأسود و" الجَوْن " للأبيض. وأنكر ناس هَذَا المذهب، وأن العرب تأتي باسم واحد لشيء وضدّه.

وهذا لَيْسَ بشيء، وذلك أن الَّذين رَوَوْا أن العرب تُسمي السيف مهنَّداً والفَرَسَ طِرْفاً، هم الَّذين رَوَوْا أن العرب تُسمِّي المتضادَّين باسم واحد.

وَقَدْ جرَّدنا فِي هَذَا كتاباً ذكرنا فِيهِ مَا احتجوا به، وذكرنا ردَّ ذَلِكَ ونقصه، فلذلك لَمْ نكرّرهُ.(١)

فقوله من سنن العرب دليل على أن هذا اللون من التعبير طريق معروفة، ومتداول فيما بينهم فلا يجوز الإنكار عليهم، سواء في ذلك المشترك اللفظي أو الترادف، فالرواية هي الأساس في إثبات اللغة وليس القياس.

إن "الاعتماد على القرائن، وتحسس السياق، له القدح المعلى في تحديد معنى اللفظة، وإلا لألغينا المشترك – أيضا – من العربية، فاللفظة وحدها رمز، تلبس الحدث الاجتماعي بعد وقوعه ويفسرها السياق والقرائن.(٢)

<u>دلالة الأضداد بين الحقيقة والمجاز:</u>

اختلف العلماء في تحديد دلالة معاني ألفاظ الأضداد بين الحقيقية والمجاز، أتكون الدلالة في أحدهما حقيقية والأخرى مجازية؟ أو أنهما من قبيل الحقيقة أو من المجاز؟وإذا كانت الدلالة الأولى حقيقية فما مصير الدلالة الثانية؟ هل الدلالة الأولى

---

(1) الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها – أحمد بن زكريا بن فارس تحـــ عمر فاروق الطباع – مكتبة المعارف – بيروت ١٤١٤ هـــ ١٩٩٣م – ص٩٩.
وقد رد الدكتور محمد نور الدين المنجد أكثر الألفاظ التي قيل فيها بالتضاد يقول " خلصنا إلى تبرئة القرآن الكريم من هذه الظاهرة وتوهين علل التضاد في تلك الألفاظ إذ وجدناها تقوم على غير أساس....وبذلك ننتهي إلى القطع بخلو القران الكريم من الأضداد في ألفاظه وقد رأينا من قبل خلوه من الاشتراك اللفظي عموما " صـــ ٢٣٨.

(2) المشترك اللغوي نظرية وتطبيقا – توفيق شاهين – مكتبة وهبة –ط١ ١٤٠٠هـــ ١٩٨٠م صـــ٨٦.

حقيقة والأخرى تفهم من السياق، وما يحيط به؟ أي من مستتبعات التراكيب؟ أو تكون من المجاز؟ وإذا كانت من المجاز فمن أي أنواعه؟ وهل القرينة مانعة كما في المجاز؟[1]فلفظ (المسجور) تدل على المملوء والفارغ، و(عسعس) تكون بمعنى أقبل وأدبر، و(وراء) بمعنى أمام وخلف، (القرء) للطهر والحيض، (عسى) للشك واليقين، وكذا (ظن)، (الصارخ)المغيث والمستغيث.. وقد رجح كثير من العلماء أن تكون دلالة المشترك ــ ومنه التضاد ــ على جميع معانيه دلالة حقيقية ويفهم التنوع والتعدد من السياق.

يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني:"كلّ كلمة أريد بها ما وقعت له في وضع واضع، وإن شئت قلت: في مواضعة، وقوعا لا تستند فيه إلى غيره فهي «حقيقة». وهذه عبارة تنتظم الوضع الأوّل وما تأخّر عنه، كلغة تحدث في قبيلة من العرب، أو في جميع العرب، أو في جميع الناس مثلا، أو تحدث اليوم ويدخل فيها الأعلام منقولة كانت كزيد وعمرو، أو مرتجلة كغطفان وكلّ كلمة استؤنف لها على الجملة مواضعة، أو ادّعي الاستئناف فيها..وأمّا المجاز، فكلّ كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها، لملاحظة بين الثاني والأوّل، فهي مجاز وإن شئت قلت: «كلّ كلمة جزت بها ما وقعت به في وضع الواضع إلى ما لم توضع له، من غير أن تستأنف فيها وضعا، لملاحظة بين ما تجوّز بها إليه، وبين أصلها الذي وضعت له فيوضع واضعها، فهي مجاز.[2]

فالمجاز لفظ استعمل في غير ماوضع له، أما المشترك فهو اللفظ المستعمل فيماوضع له أولا ثم استؤنف له وضع آخر غير الأول حتى تعدد الوضع، والأمر الآخر هو أن في المجاز علاقة بين المعنى المستعمل فيه اللفظ والمعنى المنقول إليه، يقول الإمام عبد القاهر:"...ثمّ اعلم أن في إطلاق المجاز على اللفظ المنقول عن أصله شرطا، وهو أن يقع نقله على وجه لا يعرى معه من ملاحظة الأصل.

(1) القرينة: ما يفصح عن المراد لا بالوضع. ينظر: جامع العبارات للطرودي صـــ ٢٤٧.
(2) أسرار البلاغة صـــ٣٥٢.

ومعنى الملاحظة، أن الاسم يقع لما تقول إنه مجاز فيه، بسبب بينه وبين الذين تجعله حقيقة فيه[1]ولوجوب اعتبار هذه النكتة في وصف اللّفظ بأنه مجاز، لم يجز استعماله في الألفاظ التي يقع فيها اشتراك من غير سبب يكون بين المشتركين، كبعض الأسماء المجموعة في الملاحن، مثل أن الثّور يكون اسما للقطعة الكبيرة من الأقط والنهار اسم لفرخ الحبارى، والليل، لولد الكروان، كما قال:

أَكَلْتُ النَّهَارَ بِنِصْفِ النَّهَارِ ... وَلَيلًا أَكَلْتُ بِلَيلٍ بَهِيمِ

وذلك أن الثور لم يقع على الأقط لأمر بينه وبين الحيوان المعلوم، ولا النهار على الفرخ لأمر بينه وبين ضوء الشمس، أداه إليه وساقه نحوه ".[2]

إن المشترك "وضع وضعين فأكثر على وجه الاستقلال، بمعنى أنه عين أولا ليدل على المعنى بنفسه، أي بلا قرينة ثم عينه غير الواضع الأول لمعنى آخر؛ليدل عليه بنفسه أيضا، أو عينه واضعه أولا نسيانا للأول، أو بلا نسيان، فالقرء مثلا موضوع تارة ليدل بالاستقلال على معنى الحيض، وتارة ليدل كذلك على معنى الطهر فإذا استعمل في أحدهما واحتيج إلى القرينة المعينة للمراد لم يضر ذلك في كونه حقيقة؛لأن الحاجة إلى القرينة فيه لتعيين المراد، لا لأجل وجود أصل الدلالة على المراد، فقرينة المشترك تفارق قرينة المجاز في أن قرينة المشترك لبيان دلالة عين لها اللفظ أولا بدونها، فعرضت الحاجة لتعينها القرينة بمزاحمة وضع آخر مستقل، وقرينة المجاز لبيان دلالة لم يكن اللفظ عين لها أولا بدون القرينة بل عين لها مع القرينة ".[3]

وينفي ابن الأثير أي مدخل للمجاز في المشترك فيقول:" تسمية الشيء باسم ضده كقولهم للأسود والأبيض:"جون"وهذا القسم ليس من المجاز في شيء البتة، وإنما هو

(1) السابق صـــ٣٩٥.
(2) أسرار البلاغة صـــ٣٩٦.
(3) مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح – أبو يعقوب المغربي –ضمن شروح التلخيص – دار السرور بيروت ١٤/٤.

حقيقة في هذين المسميين معًا؛ لأنه من الأسماء المشتركة، كقولهم: "شمت السيف"، إذا سللته، و"شمته" إذا أغمدته، فدل الشيم على الضدين معًا بالوضع الحقيقي، وفي اللغة من هذا شيء كثير، فكيف يجعل هذا القسم من المجاز؟[1] فدلالة اللفظ على المعنى وضده حقيقية في أي معنى استعمل فيه إلا إذا استعمل استعمالا مجازيا لأغراض بلاغية كما يتضح في مواضع من هذا البحث.

يقول صاحب دلالة الألفاظ "اللفظ الواحد المتناول لعدد من معانٍ من حيث هو كذلك بطريق الحقيقة على السواء..ويدخل في هذا ما كان تعدد المعاني التي وضع لها اللفظ متضادة، وهو في العربية غير قليل.[2]"فالتعدد والتنوع والوضع الحقيقي سمات أساسية فيما وضع له اللفظ المشترك، فالمشترك لفظ موضوع لكل معنى من معانيه وضعا أوليا حقيقيا متكررا، فيكون كل واحد من هذه المعاني هو المراد به على الانفراد، فإذا ما تعين منها انتفى الآخر في الكثير الغالب، إلا إذا دلت القرائن على إرادتهما معا [3]"وهو ما تميز به القرآن الكريم – في كثير من ألفاظ الأضداد التي وردت فيه – من إرادة المعنيين معا، دون غيره من أساليب العربية التي تأبى إرادة المعنيين في التضاد معا، وراجع كتب الأضداد لتقف على حقيقة ما ذكرت.

ويفصّل ابن عاشور القول في القضية قائلا:"اختلف علماء العربية وعلماء أصول الفقه في جواز استعمال المشترك في أكثر من معنى من مدلوله اختلافا ينبئ عن ترددهم في صحة حمل ألفاظ القرآن على هذا الاستعمال. وقد أشار كلام بعض الأئمة إلى أن مثار اختلافهم هو عدم العهد بمثله عند العرب قبل نزول القرآن، إذ قال الغزالي وأبو الحسين البصري" يصح أن يراد بالمشترك عدة معان لكن بإرادة المتكلم وليس بدلالة اللغة. وظني بهما أنهما يريدان تصير تلك الإرادة إلى أنها دلالة

(1) المثل السائر في أدب الكتب والشاعر لابن الأثير – محمد محيي الدين عبد الحميد – المكتبة العصرية صيدا – بيروت ط١٤١١هـ ١٩٩٠م جـ ١/ ٣٥٧.

(2) دلالة الالفاظ صـ ٥١٩.

(3) السابق الصفحةنفسها.

من مستتبعات التراكيب؛ لأنها دلالة عقلية لا تحتاج إلى علاقة وقرينة، كدلالة المجاز والاستعارة.والحق أن المشترك يصح إطلاقه على عدة من معانيه جميعا، أو بعضها إطلاقا لغويا، فقال قوم: هو من قبيل الحقيقة، ونسب إلى الشافعي وأبي بكر الباقلاني وجمهور المعتزلة. وقال قوم: هو المجاز، وجزم ابن الحاجب بأنه مراد الباقلاني من قوله في كتاب التقريب والإرشاد إن المشترك لا يحمل على أكثر من معنى إلا بقرينة، ففهم ابن الحاجب أن القرينة من علامات المجاز وهذا لا يستقيم؛لأن القرينة التي هي من علامات المجاز هي القرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي وهي لا تتصور في موضوعنا؛ إذ معاني المشترك كلها من قبيل الحقيقة وإلا لانتقضت حقيقة المشترك فارتفع الموضوع من أصله. وإنما سها أصحاب هذا الرأي عن الفرق بين قرينة إطلاق اللفظ على معناه المجازي وقرينة إطلاق المشترك على عدة من معانيه، فإن قرينة المجاز مانعة من إرادة المعنى الحقيقي وقرينة المشترك معينة للمعاني المرادة كلا أو بعضا.والذي يجب اعتماده أن يحمل المشترك في القرآن على ما يحتمله من المعاني سواء في ذلك اللفظ المفرد المشترك، والتركيب المشترك بين مختلف الاستعمالات، سواء كانت المعاني حقيقية أو مجازية، محضة أو مختلفة. مثال استعمال اللفظ المفرد في حقيقته ومجازه قوله تعالى {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ} [الحج: ١٨] فالسجود له معنى حقيقي، وهو وضع الجبهة على الأرض، ومعنى مجازي وهو التعظيم، وقد استعمل فعل يسجد هنا في معنييه المذكورين لا محالة. وقوله تعالى {وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ} [الممتحنة: ٢] فبسط الأيدي حقيقة في مدها للضرب والسلب، وبسط الألسنة مجاز في عدم إمساكها عن القول البذيء وقد استعمل هنا في كلا معنييه. ومثال استعمال المركب المشترك في معنييه قوله تعالى {وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ}

[المطففين:١] فمركب ويل له يستعمل خبرا ويستعمل دعاء، وقد حمله المفسرون هنا على كلا المعنيين.(١)

فقرينة المجاز مانعة من إرادة المعنى الحقيقي وبها يتحقق وجوده وبدونها لن يكون ثمة مجاز بخلاف المشترك فإن قرينته غير مانعة وإنما هي محددة لدلالة معينة

والحديث عن قرينة الأضداد يدفع إلى الحديث عن صدى الأضداد في التراث البلاغي؛ فهل رصدت كتب البلاغة العربية الأضداد؟ وهل تحدثوا عن سر جماله؟ وهل كان حديثهم عنه رهناً بالقرآن الكريم أو أنهم أدركوه في سائر البيان العربي؟ وهل نوَّهوا بفضله وأشاروا إلى أهميته؟

---

(1) التحرير والتنوير الطاهر بن عاشور جـــ ١ /صـــ ٩٩.

أشار البناني إلى أن " القرينة المحتاج إليها في المشترك إنما هي لتعين المراد وفهمه بخصوصه بخلاف قرينة المجاز فهي محتاج إليها في نفس الدلالة على المعنى المجازي " تجريد البناني على مختصر السعد التفتازاني- ٢٢٧/٢- طبع إبراهيم عبد الغفار الدسوقي١٢٨٥ه.

واعلم أن المجاز يكفي في تحققه القرينة المانعة عن إرادة المعنى الحقيقي وأما القرينة المعينة للمراد فليست شرطا في التحقيق بل في استعماله وقبوله عند البلغاء فإن فقدت كان مردودا إلا أن يتعلق بعدم ذكر المعينة غرض كالتعميم لتذهب نفس السامع كل مذهب ممكن فيكون مقبولا حسنا " جامع العبارات في تحقيق الاستعارات صـــ٢٤٨.

وثمة عوامل كثيرة تؤثر في دلالة الألفاظ منها كثرة الاستعمال والذيوع والشهرة ونسيان الأصل "فإذا كثر الاستعمال صار حقيقة عرفية ينسى بها الأصل.....ومن ثم كثر في أحكامهم التعويل على الشهرة والذيوع والاعتياد في العرف، وحتى ذلك اللفظ المجاز لايظل مجازا على طول الزمن،وإنما يعرض له أن يكون حقيقة متعارف عليها في بيئة من البيئات أو لهجة من اللهجات ومتى استقر في بيئة مدلول وتحدد معناه عاد إلى ما كان عليه أولا من تسمية بالحقيقة مقيدة بعرف هذه البيئة وتواضعها "والبحث عن المجازات المنسية أمر ليس باليسير " ١١٠ المجاز وأثره في الدرس -اللغوي محمد بدري عبد الجليل- ط-دار النهضة العربية لبنان ١٤٠٦هـــ ١٩٨٦ م صـــ ١١٠.

المبحث الثاني

الأضداد في البلاغة العربية

دراسة الأضداد في البلاغة العربية

لقد تنبَّه البلاغيون لظاهرة الأضداد وأثرها على المعنى في مستويات متفاوتة، ونصوص مختلفة، ونثروا من الأمثلة والشواهد ما يدل عليها، بل تجاوزوا الأمثلة إلى العناوين المختلفة في البديع والبيان التي تشير إلى ظاهرة الأضداد من منظور بلاغي خالص باعتباره وجهًا من وجوه البلاغة، وطريقًا من طرق البيان، كالإبهام الذي يعمد فيه إلى التعمية والإلغاز إمَّا بقصد توسيع المعاني وتعدده إلي كون النص حمالًا لوجوه من التأويل والتفسير أو التهكم والسخرية والاستهزاء، وإمَّا بقصد الإبهام والتعمية على السامع خوفا منه، أوتهيبًا لما قد يقع عليه أو لغرض آخر.

وكان الفكر البلاغي والنقدي على وعي تام "بدور السياق في بناء الظاهرة؛ فتعيين الكلمة من ألفاظ الأضداد، لايكون إلا من خلال تفرس السياق وما يحيط بها من قرائن تعين على فهم دلالاتها المتنوعة يقول ابن الأنباري:" إن كلام العرب يصحح بعضه بعضا، ويرتبط أوله بآخره ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه واستكمال جميع حروفه، فجاز وقوع اللفظة الواحدة على المعنيين المتضادين؛ لأنها تتقدمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر[١] فالسياق هو الذي يحدد معنى الكلمة، وأحيانا يرشحها لمعنيين فأكثر، وقد تكون الكلمة للمعنى وضده، والسياق يوجه الكلمة لهذا المعنى ولمعنى آخر هو ضد المعنى الأول، "والذي نراه أن من رأى أن التضاد يخالف الإبانة ويؤدي إلى الغموض فقد جهل السياق ودوره في الإبانة عن طريق قرائنه المختلفة من لفظية وحالية لذا نرى في التضاد تيسيرا للكلام وطريقة لتوسيع طرائق التعبير شرط الإحاطة بالسياق بشقيه ".[٢]

---

(1) الأضداد –ابن الأنباري –تحـ محمد أبو الفضل إبراهيم – المكتبة العصرية – ١٩٨٧م ١٤٠٧صـ٢.

(2) الدلالة السياقية عند اللغويين – عواطف كنوش صـ٣٠٠.

وللبلاغيين حديث عن الإبهام- بالباء الموحدة - وسماه بعضهم: التوجيه: وهو عبارة عن أن يقول المتكلم كلامًا محتملا لمعنيين متضادين، لا يتميز أحدهما عن الآخر، كالمديح والهجاء وغيرهما، ولا يأتي بعده ما يميز المراد منها، قصدا للإبهام. وزاد بعضهم: وينبغي أن يكون المراد، أنه إذا جرد عن القرائن، ولم ينظر إلى القائل والمقول فيه، كان احتماله للمعنيين على السوية، كما سيلوح في أكثر الأمثلة.[1] لكن الاحتمال المتساوي لا يستقيم في كل النصوص، فكثيرا ما يكون أحد الاحتمالين راجحًا والآخر مرجوحا، والمقام هو الذي يحدد ترجيح أحد الضدين على صاحبه، لكن الترجيح بناء على القرائن والمقامات، لاينفي الاحتمال الآخر نفيا كاملا.[2]

وسماه ابن الجوزية ــ وغيره ــ محتمل الضدين ثم قال: ومنه في القرآن العظيم كثير من ذلك قوله تعالى "وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا" (٧٩)الكهف يحتمل أن يكون أراد بورائهم أمامهم، ويحتمل أن يكون وراءهم، وهو يطلبهم، ومنه قوله تعالى " وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ" البقرة٢٢٨ (والقرء) يطلق على الحيض والطهر، ومنه قول الشاعر:

يُغَادِرُ الجُونَةَ أَنْ تَغِيبَا

(والجون) الأسود والجون الأبيض وهو من الأضداد ومنه قول بشار

---

(1) أنوار الربيع لابن معصوم ٥/٢، وخزانة الأدب ٢٧٨/١، وتحرير التحبير صـــ ٥٩٦، والتوجيه ويسمى محتمل الضدين وهذه العبارة الأخيرة نص عليها شراح التلخيص مما يدل على الترادف بين المصطلحين لكنهم التزموا نص المفتاح صـــ ٤٢٧، والإيضاح في علوم البلاغة للقزويني-٨١/٤- تح: محمد عبد المنعم خفاجي ط٤ - ١٣٩٥ه - ١٩٧٥م، وطراز الحلة وشفاء الغلة للغرناطي -ص٦٠٧- تح: رجاء السيد الجوهري مؤسسة الثقافة الجامعية إسكندرية مصر ط د. ت، والمطول ومعه حاشية السيد الشريف دار إحياء التراث العربي،شرح التلخيص للبابرتي صـــ٦٥٨شروح التلخيص ٤٠٠/٤.

(2) ينظر: دراسات في علم البديع -أحمد محمد علي -ط١ ١٤٠٦هـــ ١٩٨٦ م مطبعة الأمانة صـــ ٢٧٣.

خَـــــاطَ لِي زَيْدٌ قَبَـــــاءْ ... لَيتَ عَينَيهِ سَـــــوَاءْ
فَأُحَاجِي النَّـــــاسَ طُـــرًّا ... أَمَدِيـــــحٌ أَمْ هِجَـــاءْ

أخذ المتنبي هذا المعنى فقال:

أَيَاابْنَ كَرَوَّسٍ يَا نِصْفَ أَعْمَى... وَإِنْ تَفخَرْ فَيَا نِصْفَ البَصِيرِ

وكان ابن كَروَّس هذا أعورا، فمدحه وذمه، وينخرط في هذا السلك، قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾هود آية٨٧، إذا جعل هذا من باب التهكم به والإزراء عليه، كان ذما؛ولهذا قال بعض المفسرين: أرادوا إنك لأنت الأحمق السفيه، وإن أريد به المدح فالتقدير إنك أنت الكامل الحليم الرشيد، فكيف يبدو منك مثل هذا؟ لأنه ذكر الحليم والرشيد بالألف واللام التي هي لاستغراق الجنس أو العهد [1]ورؤية ابن القيم جديرة بالاهتمام؛ لأنه رصد الظاهرة في الكلام المركب واللفظ المفرد، وهو ما يعكس تنبهًا بالظاهرة على كافة المستويات والتقلبات.

وذكر البلاغيون قوله تعالى:﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُـوا رَاعِنَـا وَقُولُـوا انْظُرْنَـا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾البقرة آية١٠٤، والشاهد في قوله تعالى (غير مسمع) يحتمل المدح أي اسمع غير مسمع مكروها، أو اسمع غير مأمور، ويحتمل الـذم أي اسمع لاسمعت، دعوا عليه ــ عليه الصلاة والسلام ـــ بـالموت أو بالـصمم، أو اسمع غير مجاب إلى ما تدعو إليه أي اسمع غير مسمع جوابا يوافقك، فكأنـك لـم تسمع شيئا.وقوله راعنا يحتمل المدح أي انظر في مصالحنا ودبر أمرنا، ويحتمـل الذم لأنهم كانت عندهم لفظة سريانية يتسابون بها.[2]

(1) الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان –ابن القيم –ط١ ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م صـ٢٤٨.
(2) ينظر: طراز الحلة صـ٦٠٩وأنوار الربيع جـ ٢ صـ٥.

وتنبه الطيبي – وغيره – للأضداد في السنة المطهرة؛ ففي قول النبي (ﷺ) "من جُعل قاضيا ذُبح بغير سكين ".[1]

قال الطيبي: يحتمل وجوها:

الأول: يريد به القتل بغيره كالخنق والتفريق والإحراق والحبس عن الطعام والشراب؛ فإنه أصعب وأشد من القتل بالسكين؛ لما فيه من مزيد التعذيب وامتداد مدته.

الثاني: أن الذبح إنما يكون في العرف بالسكين، فعدل به إلي غيره ليعلم أن الذي أراد به ما يخاف عليه من هلاك دينه دون هلاك بدنه...جعل جنس الذبح نوعين: المتعارف وهو إزهاق الروح بآلة مخصوصة، وغير المتعارف، وهو ما يخاف عليه من هلاك دينه. وشتان بين الذبحين؛ فإن الذبح بالسكين عناء ساعة، والآخر عناء عمر بله ما يعقبه من الندامة يوم القيامة.

الثالث: يمكن أن يقال: المراد منه أن من جعل قاضيا فينبغي أن يموثَ[2] جميع دواعيه الخبيثة وشهواته الرديئة، فهو مذبوح بغير سكين.

أقول: فعلي هذا القضاء مرغوب فيه ومحثوث عليه، وعلي الوجهين الأولين تحذير علي الحرص عليه, وتنبيه علي التوقي منه لما تضمن من الأخطار المُردية.[3]

فاللفظ يحتمل أن يكون القاضي هو الذابح أو المذبوح، وكلا الوجهين وارد ويتحمله السياق، والقول باعتبار كلا الوجهين يفتح آفاقا للفكر والتأمل والنظر ويثري الدلالة.

---

(1) الحديث مذكور في باب الإبهام في كتب البلاغة مثل الفوائد صـــ ٢٤٨، والمثل السائر ٦٢/١، وطراز الحلة صـــ ٦١٠ وهو صحيح.

(2) ماث الملح في الماء: أذابه لسان العرب. لسان العرب مادة(م و ث).

(3) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح تحـــ عبدالحميد هنداوي مكتبة نزار الباز ط٢-١٤٢٥ه ٢٠٠٤م ٨/ ٢٥٩٦ حديث رقم ٣٧٣٣.

والأمثلة على الظاهرة في كتب البلاغة كثيرة مشهورة؛ منها قوله (ﷺ)، وقد ذكر عنده شريح بن الحضرمي وهو من الصحابة: "ذاك رجل لا يتوسد القرآن." فيحتمل وجهين ذكرهما ثعلب عن ابن الأعرابي، أحدهما المدح وهو أنه لاينام الليل حتى يتوسد القرآن معه فيكون مدحا. والثاني الذم، وهو أنه ينام ولا يتوسده معه أي لا يحفظه، فيكون ذما.

قال في النهاية يحتمل أن يكون مدحا وذما، فأما المدح فمعناه أنه لا ينام الليل عن القرآن، ولا يتهجد به، فيكون القرآن متوسدا معه بل هو يداوم قراءته ويحافظ عليها، والذم معناه لا يحفظ من القرآن شيئا ولا يديم قراءته فإذا نام لم يتوسد معه القرآن، وأراد بالتوسد النوم.(١)

ومنه قول النبي(ﷺ)"صلاةٌ في مسجدي هذا خيرٌ من ألف صلاةٍ في غيره من المساجد إلّا المسجد الحرام" فهذا الحديث يستخرج منه معنيان ضدان:

أحدهما: أن المسجد الحرام أفضل من مسجد رسول الله (ﷺ) والآخر: أن مسجد رسول الله (ﷺ) أفضل من المسجد الحرام، أي: إن صلاة واحدة فيه لا تفضل ألف صلاة في المسجد الحرام، بل تفضل ما دونها، بخلاف المساجد الباقية, فإن ألف صلاة فيها تقصر عن صلاة واحدة فيه.

وكذلك جاء قول النبي (ﷺ) أيضًا من كلام النبوة: "الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت" , وهذا يشتمل على معنيين ضدين:

أحدهما: أن المراد به إذا لم تفعل فعلًا تستحي منه فافعل ما شئت. والآخر: أن المراد به إذا لم يكن لك حياء يزعك عن فعل ما يُسْتَحَى منه فافعل ما شئت، وهذان معنيان ضدَّان، أحدهما مدح، والآخر ذم...ثم قال ابن الأثير وكثيرا ما يرد أمثال ذلك في الأحاديث النبوية.(٢)

---

(1) حاشية السيوطي على سنن النسائي ومعه حاشية السندي -٣/٣٥- مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب ط٢ ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

(2) المثل السائر ١/٥١، وطراز الحلة صـ ٦١٠.

قال ابن معصوم: ومن لطيف الإبهام ما يحكى أن معاوية بن أبي سفيان قال:لعقيل بن أبي طالب ــ عليه السلام ــ: إن أخاك عليا قد قطعك ووصلتك، ولا يرضيني منك إلا أن تلعنه على المنبر، قال أفعل، فصعد المنبر فقال بعد أن حمد الله وصلى على نبيه (ﷺ): أيها الناس قد أمرني أن ألعن علي بن أبي طالب أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان فالعنوه ــ لعنة الله عليه ــ ــ ثم نزل. فقال له معاوية: إنك لم تبين من لعنت بيني وبينه، فقال: والله لا زدت حرفا ولا نقصت آخر، والكلام على نية المتكلم.

وقول عبد الملك بن مروان – وقد ذكر ذاكر عنده عمر بن الخطاب – ــ: أقصر من ذكره فهو طعن على الأئمة وحسرة على الأمة. فيحتمل الذم، وهو أن ذكره وعده من الأئمة فهو طعن عليهم بمشاركته لهم في الإمامة، وحسرة على الأمة المأمورين بمتابعته. ويحتمل المدح وهو أن كل من قاس سيرة أمراء الزمان بسيرته طعن عليهم، وكل من فكر ونظر فيما كان عليه من التقشف وترك الدنيا، تحسر على ما فات من الأمة.(١)

ومن **شواهد الإبهام في الشعر** –وقد ذكره ابن رشيق في باب ما أشكل من المدح والهجاء–(٢) قول رجل من بني عبد شمس بن سعد بن تميم:

تُضَيِّفُنِي وَهْنًا فَقُلْتُ أَسَــابِقِي ... إِلَى الزَّادِ شُلَّتْ مِنْ يَدَيَّ الأَصَــابِعُ

وَلَمْ تَلْقَ لِلسَّعْدِيِّ ضَيفًا بِقَفْرَةٍ ... مِنَ الأَرْضِ إِلَّا وَهْوَ صَدْيَانُ جَائِعُ

فإن ظاهر الشعر مبهم معناه، فيظن سامعه أنه أراد ضيفا من البشر، فيكون قد هجا به نفسه، وإنما هو يصف ذئبا غشي رحله في الليل وهو بالقمر وهو فخر محض(٣).

(1) أنوار الربيع ٧/٢.

(2) العمدة في محاسن الشعر وآدابه – ابن رشيق –١٣٣/٢– تحـ محمد عبدالقادر عطا –ط١ دارالكتب العلمية ١٤٢٢هـ ٢٠٠١ م.

(3) تحرير التحبير صـ ٥٩٨.

ويحكى أن غلامين أحدهما ابن حجام، والآخر ابن طباخ رفع أمرهما إلى بعض الحكام، فسئل عن نسبهما فأرادا أن يسترا قبحه، فموها عليه بشعر يحتمل وجهين، فقال له ابن الحجام:

أَنَا ابْنُ مَنْ ذَلَتْ الرِّقَـــابُ لَهُ ... مِنْ بَينِ مَخْزُومِهَا وَهَاشِمِهَا

تَأْتِيهِ طَوْعًـــا إِلَيهِ خَاضِعَـةً ... يَأْخُـذُ مِنْ مَالِهَا وَمِنْ دَمِهَا!

فهذه الأوصاف تحتمل أن تكون للملوك، وأن تكون للحجام، وقال ابن الطباخ:

أَنَا ابْنِ الذِي لَا تَنْزِلُ الأَرْضَ قِدْرُهُ ... وَإِنْ نَزَلَتْ يَوْمًا فَسَوْفَ تَعُودُ

تَرَى النَّاسَ أَفْوَاجًا إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ ... فَمِنْهُمْ قِيَـامٌ حَوْلَهَا وَقُعُـودُ!

فهذه الأوصاف تصلح لحاتم طيء ونظرائه، وتصلح للطباخ.[1] وقد كان لهذا الشعر أثره في الإبهام والتعمية والتمويه على السامع حتى إنه خلى سبيلهما، وظن أنهما من علية القوم، وهما لم يكذبا! فهو من باب حسن التخلص والظهور بمظهر حسن أمام الوالي.ويجري على هذا النهج من الشعر قول أبي الطيب – فارس الشعر الموجه – في قصيدة يمدح بها كافورا:

وَأَظْلَمُ أَهْلِ الظُّلْمِ مَنْ بَاتَ حَاسِدًا ... لِمَنْ بَاتَ فِي نَعْمَائِهِ يَتَقَلَّبُ

وهذا البيت يستخرج منه معنيان ضدان: أحدهما: أن المنعم عليه يحسد المنعم، والآخر: أن المنعم يحسد المنعم عليه وكثيرا ما كان يقصد المتنبي هذا القسم في شعره، كقوله من قصيدة أولها:

عَدُوكُ مَذْمُومٌ بِكُلِّ لِسَانِ... وَلَوْ كَانَ مِنْ أَعْدَائِكَ القَمَرَانِ

وَلله سِرٌ فِي عُلَاكَ وَإِنَّمَا... كَلَامُ العِدَا ضَرْبٌ مِنَ الهَذَيَانِ

ثم قال:

فَمَا لَكَ تُعْنَى بَالأَسِنَّةِ وَالقَنَا... وَجِدِّكَ طَعَّانٌ بِغَيْرِ سِنَانِ!؟

(1) طراز الحلة صـــ٦١٢.

فإن هذا بالذم أشبه منه بالمدح؛ لأنه يقول: لم تبلغ ما بلغته بسعيك واهتمامك، بل بجد وسعادة، وهذا لا فضل فيه؛ لأن السعادة تنال الخامل والجاهد، ومن لا يستحقها، وأكثر ما كان المتنبي يستعمل هذا القسم في قصائده الكافوريات.

وحكى أبو الفتح بن جني قال: قرأت على أبي الطيب ديوانه، إلى أن وصلت إلى قصيدته التي أولها:

أُغَالِبُ فِيكَ الشَّوْقَ وَالشَّوقُ أَغْلَبُ

فأتيت منها على هذا البيت، وهو:

وَمَا طَرَبِي لَمَّا رَأَيتُكَ بِدْعَةً ... لَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَرَاكَ فَأَطْرَبُ

فقلت له: يا أبا الطيب، لم تزد على أن جعلته أبا رنة، فضحك لقولي [1]

وتعقب ابن أبي الحديد صاحب المثل السائر فقال:إن الناس وقع لهم واقع طريف مع المتنبي، وكان أصله الشيخ أبو الفتح عثمان بن جني، فإنه نبه المتنبي على شيء من هذا الباب لم يكن قصده ولا خطر بباله، فضحك المتنبي ولم يكن ذلك إلا لبغضه لكافور وحقده عليه. فصار فيه حديث طويل وزعم أن من جاء بعده أن المتنبي كان يقصد ذلك، ويمدحه بالشعر الموجه الذي يحتمل المدح والذم، ومنهم من يزعم أن كافورا كان يتفطن لذلك ويغضي عنه، وينقلون هذا عن المتنبي، وما كان ذلك قط ولا وقع شيء منه ولا قصد أبو الطيب نحو ذلك أصلاً.ولو تأملت الأشعار كلها وأردت أن تستنبط منها ما يمكن أن يكون هجاء لقدرت[2]وذهب ابن معصوم هذا المذهب قائلا: "ولو كان كذلك لناقض كلامه بعضه بعضا؛ لأن له في كافور من المدح مالا يشوبه شيء من هذه التأويلات الباردة "[3] يقول حسام زادة:" إن المتنبي

(1) المثل السائر ١/٥١-٥٢، وأنوار الربيع ٢/١٥-٢٧.

(2) ينظر الفلك الدائر على المثل السائر تحـــ الحوفي وطبانة دار االرفاعي الرياض ط٢ ١٤٠٤هـــ ١٩٨٤م صـــ ٧٥.

(3) أنوار الربيع ٢/٢٧.

نادى بأعلى صوته، أن شعره الذي أنشده في كافور كله منسوج على منوال محتمل الضدين؛ حيث قال:

وَشِعْرٌ مَدَحْتُ بِهِ الكَرْكَدَنَّ بَينَ القَرِيضِ وَبَينَ الرُّقَى
فَمَا كَـــانَ ذَلِكَ مَدْحًا لَهُ وَلَكِنَّهُ كَانَ هَجْــوَ الوَرَى[1]

وقد أقر أغلب النقاد البلاغيين بالتفوق والتفرد للمتنبي، الذي أثرى الشعر العربي، وجعل الابهام طريقا إلى التعمية عن هجائه، ووسيلة إلى مكنون نفسه، فكان من آثار قوة شخصيته، وعراقة إبداعه، وعمق فنه، واقتداره على التشكيل الفني والجمالي باللغة.[2]ولا شك أن الابهام (التوجيه) يحتاج من الشاعر صنعة فنية عالية، ودقة في

(1) قلب كافوريات المتنبي – حسام زادة تحـ حمد الشيخ – المكتب الجامعي الاسكندرية صـ ٢٢ وما بعدها

(2) كَفَى بِكَ دَاءً أَنْ تَرَى المَوتَ شَافِيَا وَحَسْـبُ المَنَايَا أَنْ يَكُنَّ أَمَانِيَا
تَمَنَّيتَهَا لَمَّا تَمَنَّيتَ أَنْ تَـــــرَى صَدِيقًا فَأَعْيَا أَوْ عَـدُوًّا مُدَاجِيَا

يقول محمود شاكر: "واستقبال كافور بهذين البيتين هجاء دونه كل هجاء؛ فيه إقذاع وفحش وسخرية وتهكم" المتنبي – محمود محمد شاكر صـ٣٦٢ "فها هو المعنى الذي قلبه أبوالطيب ببيانه القوي ليعرض مدحا وهو ذم بليغ وهجاء مقذع " السابق صـ ٣٦٦ " وقد أرجع ذلك لتمكن الأصول البيانية في شعره" ينظر السابق صـ٣٦٤.

ويقول عبد العزيز الدسوقي:إنه يمدح عبدا يحتقره وتردد في الاتصال به ثم عاد فرضي بذلك بعد أن وعده بولاية " أبو الطيب المتنبي شاعر العروبة وحكيم الدهر عبد العزيز الدسوقي المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ط١ ٢٠٠٦م صـ٢٧٧.

...ثم يقول:ولكن هذا الإخشيدي لايمثل بالنسبة له أي هدف أوقيمة أخلاقية أو قومية هنا يستيقظ عقله ويتمرد عليه وخزه وخزا أليما، فيصرخ في حزن عات مدمر

كَفَى بِكَ دَاءً أَنْ تَرَى المَوْتَ شَافِيَا وَحَسْبُ المَنَايَا أَنْ يَكُنَّ أَمَانِيَا

...يمدح فيها كافورا مدحا من وراء القلب؛ لأنه يكن له في أعماقه الاحتقار...ولعل هذا المنهج في مدح كافور جعل بعض الأبيات يحتمل المدح والذم ولقد فطن بعض إلى هذا بعض الشراح القدامى لديوان المتنبي صـ ٢٨٥.

توظيف اللغة الفنية، فيحمل الألفاظ العديد من المعاني؛ليكون شعره قادرا على إثارة القارئ والسامع والناقد لبذل جهد زائد، وفكر أعمق في استخراج المعاني، والإحاطة بمرامي الشاعر، واللغة الفنية المستخدمة في تشكيله الفني والجمالي، ومدلولاتها الخفية التي تتجلى فيها الأضداد؛ لتؤدي مكنون نفسه، فتخفي قلقه واضطرابه وضجره وضيقه فيخرج الذم مدحا، والقبح حسنا، والذل فخرا، والصغار عزا. كالطير يرقص مذبوحا من الألم يقول الإمام عبد القاهر:"فهل تشكّ في أن الشاعر الذي أدّاه إليك، ونشر بَزَّه لديك، قد تحمّل فيه المشقّة الشديدة، وقطع إليه الشُّقة البعيدة، وأنه لم يصل إلى دُرِّه حتى غاص، ولم ينل المطلوب حتى كابدَ منه الامتناع والاعتياص؛ ومعلومٌ أن الشيء إذا عُلم أنه لم يُنَل في أصله إلا بعد التَّعب، ولم يُدرَك إلا باحتمال النَّصَب، كان للعلم بذلك من أمره من الدعاء إلى تعظيمه، وأخْذِ الناس بتفخيمه، ما يكونَ لمباشرة الجهد فيه، وملاقاةِ الكرب دونه، وإذا عثرتَ بالهُوَيْنَا على كنزٍ من الذهب، لم تُخرجك سُهولةُ وجوده إلى أن تَنْسَى جملةً أنه الذي كدَّ الطالب، وحمّل المتاعب، حتى إن لم تكُنْ فيك طبيعةٌ من الجُود تتحكَّم عليك، ومحبّة للثناء تستخرج النفيس من يديك كان من أقوى حجج الضَّنّ الذي يخامر الإنسان.[1]

وخلاصة القول في ذلك:

أن الفكر البلاغي تنبه لظاهرة الأضداد من وجهة بلاغية، ودرسها تحت مسميات متعددة كالإبهام، والتوجيه، ومحتمل الضدين...إلخ وهو ما يقطع بتطور مفهوم الأضداد عند البلاغيين وتوسعها، وعمق نظرتهم واختلافها عن نظرة اللغويين؛ فعند البلاغيين تدور في الأضداد بوجه عام في المفردات والتراكيب باحثة عن السر

=إن كنا نعتقد مع ابن جني، أن أبا الطيب كان يفكر وهو يكتب هذه القصائد في هجاء كافور بل إنني أرجح أنه كان يكتب قصيدة الهجاء بعد أن يكتب القصيدة التي سينشدها أمام كافور صـــ ٢٨٦.

(1) أسرار البلاغة ١٤٥.

البلاغي وراء استخدامها، بينما الأضداد عند اللغويين لم تتعد الألفاظ المفردة وإثبات أن هذا اللفظ يفيد هذا المعنى وشاهده من اللغة وضد هذا المعنى وشاهده من اللغة دون بحث عن الأسرار الكامنة في استخدام هذا اللفظ أو في ازدواجية الدلالة.

المبحث الثالث

الأضداد في المفردة القرآنية
دراسة تحليلية

ليس المقصود بهذا العنوان الحديث المستوعب للظاهرة في القرآن بشتى تفاصيلها، ولا مناقشة دفوع الرافضين له في القرآن فهذا أمر مطلبه عسير، ولكن القصدمنه ذكر أمثلة وشواهد وبيان السر من وراء ذلك لنثبت عدة أمور؛ منها: ذكر أمثلة لظاهرة الأضداد وامتدادها في جيد الكلام وفصيح اللغة، وجود ظاهرة الأضداد في القرآن الكريم، وذكر الأسرار البلاغية وراء استخدامها. ويجدر بنا ابتداءً أن نذكر أن أغلب القائلين بنفي الأضداد عن القرآن يقصدون تنزيه القرآن عن اللغو والخطأ، ووصفه بالوضوح والبيان الذي هو رأس البلاغة وذروة سنامها، وتنزيهه عن الغموض والإبهام. وقد غاب عن هؤلاء أن البلاغة قد تكون في خفاء المعنى لا غموضه، وأن تحريك الذهن وإثارة العقل قد يكون وسيلة تنبيه في القضايا المهمة، فمن المعاني ما يحتاج إلى إعمال الفكر وتدقيق النظر، ومن المركوز في الطبع أن الشيء إذا نيل بعد الطلب له أو الاشتياق إليه، ومعاناة الحنين نحوه، كان نيله أحلى، وبالمزيّة أولى، فكان موقعه من النفس أجلّ وألطف، وكانت به أضنّ وأشغف"[1]وعليه قد يكون قصد المعاني المتضادة لحكمة عظيمة، تُدْرَك بعد تفرس السياق والنظر إلى جانبي المعنى.

يضاف إلى هذا أن شواهد الأضداد في القرآن خلت من سلبية الغموض أو انبهام المعنى اعتمادا على عدد من القرائن التي تحدد المعنى المراد فهناك رحابة في الدلالة حيث يتسع الأسلوب للمعنى وضده في الآية نفسها، فينظر إلي جانبي المعنى ويستوفيه بالأضداد وكلاهما ظاهر جلي لايحتاج إلا إلى تدبر[2]. بقي أن أشير في تلك المقدمة أن جل الأضداد في القرآن الكريم جاءت في المفردات لا التركيب، وهو ما يقتربإلى حدٍّ ما من مفهوم الظاهرة عند اللغويين.

---

(1) أسرار البلاغة صـــ١٣٩.

(2) الاشتراك والتضاد في القرآن الكريم دراسة إحصائية – أحمد مختار عمر – عالم الكتب القاهرة / صـــ ١١٤.

١- **من الأضداد في القرآن الكريم لفظ (القرء)** في قوله تعالى ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾البقرةآية٢٨٨القرء: الحيض، والطهر ضد. وذلك أن القرء الوقت، فقد يكون للحيض والطهر. قال أبو عبيد: القرء يصلح للحيض والطهر. قال: وأظنه من أقرأت النجوم إذا غابت. والجمع: أقراء. وفي الحديث:دعي الصلاة أيام أقرائك..قال الشافعي –رضي الله عنه–: القرء اسم للوقت فلما كان الحيض يجيء لوقت، والطهر يجيء لوقت، جاز أن يكون الأقراء حيضًا وأطهارًا.فإنما القرء اجتماع الدم في الرحم(١)

قال أبو بكر: قد حصل من اتفاق السلف، وقوع اسم الأقراء على المعنيين من الحيض ومن الأطهار من وجهين: أحدهما: أن اللفظ لو لم يكن محتملا لهما لما تأوله السلف عليهما؛ لأنهم أهل اللغة والمعرفة بمعاني الأسماء وما يتصرف عليه المعاني من العبارات، فلما تأولها فريق على الحيض وآخرون على الأطهار علمنا وقوع الاسم عليهما. ومن جهة أخرى أن هذا الاختلاف قد كان شائعا بينهم مستفيضا، ولم ينكر واحد منهم على مخالفيه في مقالته، بل سوغ له القول فيه، فدل ذلك على احتمال اللفظ لمعنيين وتسويغ الاجتهاد فيه. ثم لا يخلو من أن يكون الاسم حقيقة فيهما، أو مجازا فيهما، أو حقيقة في أحدهما مجازا في الآخر؛ فوجدنا أهل اللغة مختلفين في معنى القرء في أصل اللغة (٢)فالقرء بمعنى الطهر والحيض في الآية الكريمة وليس هناك مرجح لأحد المعنيين وإلا لتحدد المعنى وقطع فيه فعليه تترتب أحكام عدة فللقاضي أن يحكم بأحدهما وفقا لمصلحة الأسرة

فالقرء يعني الحيض والطهر معا "ومحاولة القطع بدلالة وإبطال الأخرى في الآية بعيد فما جعله الله – سبحانه وتعالى – على ذلك النحو إلا ليفتح بابين للفقه والفتوى وتربية لهم على حسن النظر(٣)

---

(1) اللسان (ق ر أ).

(2) أحكام القران الجصاص تح محمد الصادق قمحاوي بيروت ١٤١٢ه ١٩٩٢م ٥٦/٢.

(3) دلالة الألفاظ محمود توفيق سعد صـــ٥٢٨.

وفي هذا من التيسير على المطلقات ما فيه، إذ يكون لهم طريقان في احتساب العدة، أحدهما قد يكون أقصر من الآخر: بيان هذا أنه لو طلق امرأته في طهر قبل مجيء حيضها بيوم، فإن قلنا القروء هي الأطهار، كان لنا أن نعد هذا اليوم قرء، فيبقى عليها أن تتربص زمان طهرين، ولايكادان معا يتجاوزان شهرين، فهذا يمكن أن يأخذ به القاضي، إذا ما كان الزوج المطلق غير راغبة فيه الزوجة، أو كان غير مأمون عليها وسعدت بفراقه وأراد مراجعتها بعد أن طعنت في الحيضة الثالثة، فللقاضي حينئذ أن يحكم بانقضاء عدتها على القول بأن القرء هو الطهر.

وله أن يأخذ بالقول الآخر الذاهب إلى أن القرء هو الحيض، إذا ما كان الزوج المطلق في طهر ذا ميراث والمطلقة في حاجة، أو لها يد في تكوين هذا الميراث، فمات بعد أن طعنت في الحيضة الثالثة، فإن القاضي له أن يحكم بعدم انقضاء العدة اعتمادا على هذا القول الذاهب إلى أن القرء هو الحيض، فيحكم لها بنصيبها في الميراث هذا التيسير يعين علة مجيء البيان القرآني بهذا اللفظ المشترك فكان للاشتراك أثر في استنباط الأحكام الشرعية، وليس فيه إلباس وتعمية.(١)

ولك أن تضيف إليه أن "قروء " جمع كثرة والعدد جمع قلة وما يستغرقه الطهر من زمان المرأة كل شهر أطول مما يستغرقه الحيض منه فكان زمان الطهر أليق بجمع الكثرة وخير ما قيل في سر استعارة صيغة الكثرة ــ هنا ــ ما جاء في كتاب "البلاغة القرآنية"ونرى أن جمع الكثرة قروء يشير إلى وجوب الاحتياط في استيفاء مدة العدة حتى لاتتعجل المرأة المطلقة عدتها "تفسير ذلك أن التكثير أريد به كبح جماح النسوة الطامحات إلى الزواج، القلقات على مستقبلهن والتأكيد على وجوب إتمام العدة قبل أن يتلقين رغبات الرجال، ويتواعدن معهن على الزواج؛ فاستحالت القلة كثرة إشعارا بوجوب الانتظار إلى تمام العدة، والتعبير" يتربصن بأنفسهن " بما فيه من حشد قوى الإيمان في المرأة لتتغلب على ضعف النفس واستهوائها دليل على

(1) السابق ص٥٢٩.

ذلك وأضيف إلى هذه النكتة أن التكثير بما يعنيه من تطويل المدة قد روعي فيه أحوال أنفس المخاطبات من المطلقات الراغبات في الزواج المتعجلات نهاية عدتهن، فإن قليل الزمن كثير في عين المترقب المتلهف حتى لكأن الثلاث هذه قد تضاعفت، على ماجرى في طبائع النفوس من الإحساس ببطء ساعات الانتظار وثقل خطوات الزمن، ومشقة الانتظار واستعجال الأيام والشهور هو الذي تهدف إليه صيغة الكثرة بما تدل عليه من استكثار المدة، والإحساس بثقلها في هذه الآية[1]

٢-**ومنه لفظ(الولي أوالزوج)**في قوله تعالى:﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾البقرة آية٢٣٧[2] اختلف المفسرون في من بيده عقدة النكاح فقيل الزوج وقيل الولي ولكل من السياق والقرائن ما يؤيده

---

(1) الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ دراسة تحليلية للإفراد والجمع في القرآن/ محمد الأمين الخضري مطبعة الحسين الإسلامية ط ١ ١٤١٣هـ ١٩٩٣ م صـ١٦٣.

(2) وقد عقد ابن عادل فصلا "فيمن بيده عقدة النكاح" قال: واختلفوا في {الذي بيده عقدة النكاح} فقال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –، وسعيد بن جبير، والشعبي، وشريح، ومجاهد، وقتادة: هو الزوج، وبه قال أبو حنيفة.

وقال علقمة، وعطاء، والحسن، والزهري، وربيعة: هو الولي، وبه قال أصحاب الشافع يواحتج الأولون بوجوه بعدة أمور:

الأول: أنه ليس للولي أن يهب مهر وليته، صغيرة كانت، أو كبيرة.

الثاني: أن الذي بيد الولي هو عقد النكاح، فإذا عقد، فقد حصل النكاح، والعقدة الحاصلة بعد العقد في يد الزوج، لا في يد الولي.

الثالث: روي عن جبير بن مطعم: أنه تزوج امرأة وطلقها قبل أن يدخل بها، فأكمل الصداق، وقال: أنا أحق بالعفو، وهذا يدل على أن الصحابة فهموا من الآية العفو الصادر من الزوج.

واحتج القائلون بأنه الولي بوجوه:

أحدها: أن عفو الزوج هو أن يعطيها المهر كله، وذلك يكون هبة، والهبة لا تسمى عفوا.وأجيبوا بأنه كان الغالب عندهم، أن يسوق المهر كله إليها، عند التزوج، فإذا طلق، فقد استحق المطالبة بنصف ما ساقه إليها، فإذا ترك المطالبة، فقد عفا عنها،وأيضا، فالعفو قد يراد به

قال الحرالي: إذا قرن هذا الإيراد بقوله: {ولا تعزموا عقدة النكاح} خطاباً للأزواج قوي تفسير من جعل الذي بيده عقدة النكاح هو الزوج معادلة للزوجات، ومن خص عفوهن بالمالكات أي الراشدات خص هذا بالأولياء فكان هذا النمط من التهديف للاختلاف ليس عن سعة إيهام وكأنه عن تبقية بوجه ما من نهاية الإفصاح فمنشأ الخلاف فيه دون منشأ الخلاف من خطابات السعة بالإيهام. {وأن تعفوا} أيها الرجال والنساء {أقرب} أي من الحكم بالعدل الذي هو السواء.

ولما كان المقام للترغيب عبر باللام الدالة على مزيد القرب دون إلى فقال: للتقوى أما من المرأة فلأجل أن الزوج لم ينل منها شيئاً ولا حظي بطائل فهو أقرب إلى

=التسهيل، يقال: فلان وجد المال عفوا صفوا،.... فعلى هذا عفو الرجل: أن يبعث إليها كل الصداق على وجه السهولة.

الثاني: أن ذكر الزوج، قد تقدم في قوله تعالى: {وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن} فلو كان المراد ب {الذي بيده عقدة النكاح} هو الزوج، لقال: أو تعفو على سبيل المخاطبة فلما عبر عنه بلفظ الغائب، علمنا أن المراد منه غير الأزواج.

وأجيبوا بأن سبب العدول عن الخطاب إلى الغيبة؛ التنبيه على المعنى الذي لأجله رغب الزوج في العقد، والمعنى: أو يعفو الزوج الذي حبسها مالك عقد نكاحها عن الأزواج، ولم يكن منها سبب في الفراق وإنما فارقها الزوج، فلا جرم كان حقيقا بألا ينقصها من مهرها شيئا.

الثالث: أن الزوج ليس بيده عقد عقدة النكاح البتة؛ لأنه قبل النكاح كان أجنبيا عن المرأة، ولا قدرة له على التصرف فيها بوجه من الوجوه، وأما بعد النكاح، فقد حصل النكاح، ولا قدرة له على إيجاد الموجود، بل له قدرة على إزالة النكاح، والله – تعالى – أثبت العفو لمن في يده، وفي قدرته عقد النكاح.

قوله تعالى: {وأن تعفوا أقرب}: والظاهر أنه للأزواج خاصة؛ لأنهم المخاطبون في صدر الآية، وعلى هذا فيكون التفاتا من غائب، وهو قوله: {الذي بيده عقدة النكاح} – على قولنا إن المراد به الزوج –[وهو المختار]– إلى الخطاب الأول في صدر الآية، وقرأ الشعبي وأبو نهيك«يعفوا» بياء من تحت، قال أبو حيان جعله غائبا، وجمع على معنى: {الذي بيده عقدة النكاح} ؛ لأنه للجنس لا يراد به واحد.." ينظر اللباب في علوم الكتاب – ابن عادل الدمشقي تحـ مجموعة من العلماء – دار الكتب العلمية بيروت ط١ – ١٩٩٨م ١٤١٩ هـ جـ٤ ص ٢٢٢.

رضاه، وأما من الرجل فلما أشار إليه بجعل العقدة بيده فإنه كما ربطها باختياره حلها باختياره فدفعه الكل أقرب إلى جبر المرأة ورضاها، ومن فعل الفضل كان بفعله ذلك أقرب على أن يفعل الواجب بمن لم يفضل وهذا من بدائع النظم القرآني وجمالياته في نشر أواصر المودة والألفة والرحمة واستدامة التواصل الاجتماعي حتى في حال الطلاق وهو أعلى درجات الشقاق والنفار والخلاف يستخدم القرآن الكريم ألفاظا ثنائية الدلالة من الأضداد ويترك الأمر للمجتمع المسلم يجتهد ويوجه لصالح استدامة الود والتواصل ومراعاة العدالة الإيمانية فقد تنظر المرأة إلى أنه لم يستمتع بها ولم تطل فترة انتظارها بعد العقد فتتنازل عن بعض مهرها راضية طيبة نفسها بما تنازلت عنه، وقد تكون العدالة في أن يتنازل الزوج عن حقه فيسوق المهر كاملا؛جبرا لخاطرها، وإرضاء لنفسها فقد تعلق قلبها به وأوقفت أمانيها ومستقبلها عليه ومنت نفسها الأماني في أن تقطع رحلة الحياة معه؛فيدفع إليها المهر كاملا.

ليت المجتمعات الإسلامية تعي هذه العطاءات القرآنية، واللمحات النورانية، حتى تنعم بالأمن والاطمئنان وتعيش في سلم دائم وأمان، وهذا من سعة الدلالة، ومن جماليات "ثنائية الدلالة في المفردة القرآنية: الذي سماه الحرالي "التهديف " وجعله من نهاية الإفصاح وليس من التعمية والإبهام.

٣-وقد تفيد الصيغة بأصل وضعها على الفاعل والمفعول معا والسياق هو الذي يرجح ومن بديع الإعجاز أن تصلح الصيغة للفاعل والمفعول معا والقراءات المتواترة تؤيد ذلك ولكل شواهد ترجحه من السياق من ذلك **(تضارّ) و(يضارّ)**.

ففي مقام العلاقات الأسرية ورعاية الأبناء نجد ازدواجية الرؤية والنظر إلى قطبي العلاقة بعد انفصالهما وطلاقهما وتفرقهما وزوال ماكان بينهما من أواصر نجد القرآن الكريم يوظف الأضداد في النظر للزوج والزوجة والأولاد فيستخدم صيغة دالة على الفاعل والمفعول معا وهذا مطلب أساس في السياق حيث ينظر بعين

المساواة والمنفعة إلى الوالدة، والمولود له قال تعالى ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾البقرة آية٢٣٣.

فصيغة "تضارّ " تصلح للفاعل والمفعول، وجاءت مرفوعة على النفي، ومجزومة على النهي، فلا تضر الوالدة المولود له بالتقصير في حق الولد، بترك إرضاعه ورعايته، أو إهماله وترك نظافته وإيذائه؛انتقاما من أبيه وتشفيا من والده، بعد انفصام العلاقة بينهما وطلاقها، ولا يضر المولود له (الأب) الوالدة بألا ينفق عليها ويمدها بمؤنتها هي والمولود، أو أن ينتزع ولدها منها عنوة؛ليدفعه إلى غيرها، ومن ثراء الدلالة وقوة إيحائها أنها تلقي بظلالها على الولد الذي يدفع حياته ثمنا لامتناع الوالدة من إرضاعه انتقاما من أبيه أو أن يفقد الحنان والحب والعطف لانتزاعه من أمه ودفعه إلى غيرها.

صيغة واحدة أعطت كل هذه المعاني المتقابلة، التي لاتصلح إلا بالنظر إلى وجهي المعنى؛ لتستقيم للمولود حياته، ويكتمل نموه جسدا وروحا ونفسا وعاطفة، في ظل عدالة اجتماعية وتراحم وتعاطف حتى بعد انفصام العلاقة الزوجية، وتفرق الزوج والزوجة.

فلا يستغل الأب عواطف الأم وحنانها ولهفتها على طفلها، ليهددها فيه أو تقبل رضاعة بلا مقابل. ولا تستغل هي عطف الأب على ابنه وحبه له لتثقل كاهله بمطالبها..[1]

قال أبوحيان " لا تضارِ والدةُ زوجَها بأن تطالبه بما لا يقدر عليه، من رزق وكسوة وغير ذلك من وجوه الضرر، ولا يضارِ مولودٌ له زوجته بمنعها ما وجب لها من

(١) في ظلال القران ٢٥٤/١.

رزق وكسوة، وأخذ ولدها مع إيثارها إرضاعه، وغير ذلك من وجوه الضرر.[1] والمضارة مفاعلة من الضرر، والمفاعلة إما مقصودة والمفعول محذوف أي تضار والدة زوجها بسبب ولدها، وهو أن تعنف به وتطلب ما ليس بعدل من الرزق والكسوة، وأن تشغل قلبه بالتفريط في شأن الولد، وأن تقول بعد أن ألفها الصبي، اطلب له ظئرا مثلا، ولا يضار مولود له امرأته بسبب ولده بأن يمنعها شيئا مما وجب عليه من رزقها وكسوتها، أو يأخذ الصبي منها وهي تريد إرضاعه، أو يكرهها على الإرضاع، وإما غير مقصودة، والمعنى لا يضر واحد منهما الآخر بسبب الولد[2]وإضافة الولد إلى كل منهما لاستعطافهما إليه، وللتنبيه على أنه جدير بأن ينفقا على استصلاحه، ولا ينبغي أن يضرا به أو يتضارا بسببه.[3]

٤- **ومنه قوله تعالى**﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾البقرة آية٢٨٢يحتمل هذا الفعل أن يكون مبنياً للفاعل فيكون الكاتب والشهيد قد نهيا أن يضارّا أحداً بأن يزيد الكاتب في الكتابة، أو يحرف. وبأن يكتم الشاهد الشهادة، أو يغيرها أو يمتنع من أدائها.. واحتمل أن يكون مبنياً للمفعول، فنهى أن يضارّهما أحد بأن يعنتا، ويشق عليهما في ترك أشغالهما، ويطلب منهما ما لا يليق في الكتابة والشهادة..وقرأ ابن محيصن: ولا يضارّ، برفع الراء المشدّدة، وهي نفي معناه النهي. ومجيء النهي بصورة النفي أحسن؛ وذلك أن النهي إنما يكون عن ما يمكن وقوعه، فإذا برز في صورة النفي كان أبلغ؛ لأنه صار مما لا يقع، ولا ينبغي أن يقع.[4] إن انتقاء صيغة تحمل المعنى وضده فتنظر إلى جانبي المعنى لتحمل المسئولية لكل طرف فلا ينظر لمصلحته الخاصة ليضر بالطرف الآخر يستوي في ذلك الشاهد والمشهود له والكاتب

---

(1) البحر المحيط ج٢ ص٢٢٦.

(2) روح المعاني ١/٥٤٠-٢/١٤٧.

(3) تفسير أبي السعود تحـــ عبد اللطيف عبد الرحمن – دار الكتب العلمية بيروت ط١ ١٤١٩هـــ ١٩٩٩م ١/٢٧٦.

(4)البحر المحيط ج ٢/٣٥٤ بتصرف.

والمكتوب له فلا يستدعي صاحب الحق الشاهد والكاتب مرارا وتكرارا فيضر بهما، ولايشهدان بغير ماعلما، فيضران صاحب الحق، وفيه نوع من الموازنة والمواءمة جمعتهما صيغة واحدة.

يشير ابن عاشور إلى أن هذا وجه من وجوه الإعجاز في القرآن الكريمحيث قال: نهي عن المضارة "وهي تحتمل أن يكون الكاتب والشهيد مصدرا للإضرار، أوأن يكون المكتوب له والمشهود له مصدرا للإضرار؛لأن يضار يحتمل البناء للمعلوم وللمجهول، ولعل اختيار هذه المادة هنا مقصود، لاحتمالها حكمين، ليكون الكلام موجها فيحمل على كلا معنييه لعدم تنافيهما، وهذا من وجوه الإعجاز.[1]

٥- **ومنه كلمة(رغب)**في قوله تعالى:﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾النساء آية١٢٧.

قد يفيد الفعل معنى عاما، وحرف الجر هو الذي يوجه المعنى وجهتين متـضادتين، والسياق يعين على التعيين أو يرشحهما معا دون تناقض أو اضطراب كما في الفعل رغب: فإنه يفيد حب الشيء والحرص عليه أو بغض الـشيء والزهـد فيـه قـال الراغب: رغب فيه وإليه يقتضي الحرص عليه، قال تعالى: ﴿إنا إلى الله راغبـون﴾ التوبةآية٥٩، وإذ قيل: رغب عنه اقتضى صرف الرغبة عنه والزهد فيه، نحو قوله تعالى: ﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم﴾البقرةآيه١٣٠[2]

---

(1) التحرير والتنوير ١١٧/٣.

(2) مفردات الراغب إبراهيم شمس الدين دار الكتب العلمية ط١ ١٤١٨ه ١٩٩٧م ص٢٢٤ (رغب) الشيء ورغب فيه يرغب رغبا ورغبا ورغبة أراده وأحبه حرص عليه وطمع فيه فهو راغب فيه ورغب عنه لم يرده وزهد فيه ورغب إليه ابتهل وضرع له سأله ورغب عنه له ورغب به عنه كرهه له ورغب بنفسه عنه ترفع عنه رأى لنفسه فضلا عليه وارتغب

قالت عائشة ــ رضى الله عنها ــ:رغبة أحدكم عن يتيمته التي تكون في حجره حين تكون قليلة المال والجمال، فنهوا أن ينكحوا ما رغبوا في مالها وجمالها من باقي النساء إلا بالقسط من أجل رغبتهم عنهن[١].

يقول الألوسي: كانوا يرغبون فيهن إن كن جميلات ويأكلون ما لهن، وإلا كانوا يعضلوهن طمعا في ميراثهن، وحذف الجار هنا لا يعد لبسا، بل إجمال، فكل من الحرفين مراد على سبيل البدل[٢] ونظير ذلك قول الشاعر:

ويرغب أن يبني المعالي خالد... ويرغب أن يرضى صنيع الألائم.

فإن هذا يحتمل المدح والذم؛لأنه إن قدر (في) أولا و (عن) ثانيا فمدح، وإن عكس فذم، إذ يقال: رغب فيه، ورغب عنه، ولهذا اشترط ابن مالك في حذف الجار مع أن، وأن تعيين الجار ليؤمن اللبس، قال: فلا يقال: رغبت أن تفعل، إذ لا يدري هل التقدير: في أن تفعل، أو عن تفعل.

واستشكله ابن هشام في الأوضح بقوله تعالى "وترغبون أن تنكحوهن" لحذف الجار، مع أن المفسرين اختلفوا في المراد، وأجاب في المغني: بأنه إنما حذف الجار للقرينة المعينة، وإنما اختلف العلماء في المقدر من الحرفين في الآية لاختلافهم في سبب نزولها، فالاختلاف في الحقيقة إنما هو في القرينة وأجاب المرادي بذلك، وبأنه أراد الإبهام ليرتدع من يرغب فيهن لجمالهن ومالهن، ومن يرغب عنهن لدمامتهن وفقرهن.

=الشيء وارتغب فيه أراده ورغبته معجم الأفعال المتعدية بحرف- موسى بن محمد الأحمدي ٨٧/١.

(1) أسباب النزول للواحدي تح رضوان جامع مكتبة الإيمان المنصورة ط١ ١٩٩٦م ١٤١٧هـ ص ١٢٦.

(2) روح المعاني ١٥٥/٣.

واستحسنه بعضهم، قال: لأن من شرط أمن اللبس يقول: إذ خيف اللبس لم يجز الحذف، وعند إرادة الإبهام لا يخاف اللبس فيجوز الحذف لأجلها. انتهى وهو في محله.[1]

ولحذف حرف الجر بعد ترغبون- هنا- موقع عظيم من الإيجاز وإكثار المعنى، أي ترغبون عن نكاح بعضهن، أوفي نكاحهن، فلما حذف حرف الجر احتمل المعنيين معا وليس بينهما تناف أوتناقض أولبس بل الإبهام من مطالب النظم ومن أسرار إعجازه وفيه مراعاة لحال الناس وواقعهم وتلبية لرغبتهم في الزواج فمن يرغب في الزواج من موليته لحسنها وجمالها ووفرة مالها وجب عليه أن يعطيها صداقها كاملا ولايبخس منه شيئا فإن رغب عنها لم يعضلها أن تتزوج من غيره.

فقد كانوا في الجاهلية يعضلون اليتيمة إن كانت قبيحة أن يتزوجها أحد حتى لايشركهم في مالها ويتركونها حتى تموت ليؤول إليهم ميراثها، فنهوا عن ذلك[2] فحذف حرف الجر من متطلبات السياق ولولا هذا الحذف ما روعيت مصالح الناس ورغباتهم في الشيء أوفي البعد عنه، وذكر الحرف يجعل الفعل محدد الدلالة، ولايعطي هذه المعاني المرادة من الله تعالى.

وقد يتعين معنى الفعل بذكر حرف الجر ولو حذف لأفاد التضاد كما في الفعل صرف فقد جاء متعديا بإلى مرة وعن مرة أخرى [3] قال تعالى ﴿ك -ذَلِكَ لِنَصْرِفَ

---

(1) أنوار الربيع٢/١٤.

(2) قال الطبري:"وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن"، إلى قوله:"بالقسط"، قال: كان جابر بن عبد الله الأنصاري ثم السُّلَمي له ابنة عَمّ عمياء، وكانت دميمة، وكانت قد ورثت عن أبيها مالا فكان جابرٌ يرغب عن نكاحها، ولا يُنكحها رهبة أن يذهب الزوج بمالها، فسأل النبي (ﷺ) عن ذلك - وكان ناس في حجورهم جوارٍ أيضًا مثل ذلك فجعل جابر يسأل النبي (ﷺ): أترثُ الجارية إذا كانت قبيحة عمياء؟ فجعل النبي (ﷺ) يقول: نعم!! فأنزل الله فيهن هذا. جامع البيان - الطبري -جـ ٩ صـ٣٥٧

(3) الأضداد في اللغة - آل ياسين ص ٢١٥.

عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾يوسف آية٢٤وبإلى في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ الأحقاف آية٢٩.

٦- **ومن ألفاظ الأضداد(الظن)**قال تعالى:﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ * الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ البقرة آية ٤٥-٤٦.

في القرآن الكريم جاء الظن على بابه بمعنى الشك وبمعنى التهمة، وبمعنى الحسبان، وبمعنى اليقين[١]وهو في الآية الكريمة معناه اليقين فهم يتيقنون لقاء ربهم، ولو كانوا شاكين في لقائه لما جاز مدحهم، ويؤيد ذلك أن الجملة فيها التوكيد بـــ " أنّ " وتكرارهاواسمية الجملة التي تفيد اليقين الثابت في اللسان: الظن شك ويقين إلا أنه ليس بيقين عيان، إنما هو يقين تدبر، فأما يقين العيان فلا يقال فيه إلا علم"[٢]والظن قوة المعنى في النفس من غير بلوغ حال الثقة الثابتة، وليس كذلك الشك الذي هو وقوف بين النقيضين، من غير تقوية أحدهما على الآخر.[٣]و"عن مجاهد قال: كل ظن في القرآن فهو يقين وهذا يشكل بكثير من الآيات وقال الزركشي للفرق بينهما ضابطان في القرآن أحدهما: أنّه حيث وجد الظن محمودا مثابا عليه فهو اليقين، وحيث وجد مذموما متوعدا عليه بالعذاب فهو الشك، والثاني: أن كل ظن يتصل به أنْ المخففة فهو شك نحو:﴿ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ﴾الفتح آية١٢ وكل ظن

---

(1) فالذي بمعنى اليقين في عشرة مواضع: {يَظُنُّونَ أَنَّهُم ملاقوا رَبِّهِمْ} {وَظَنَّ أَنَّهُ الفراق}، {إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاَقٍ حِسَابِيَهْ}، {وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ الله فِي الأرض}، {أَلا يَظُنُّ أولئك أَنَّهُمْ مَّبْعُوثُونَ}، {وَظَنُّواْ مَا لَهُمْ مِّن مَّحِيصٍ}، {وظنوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ}، يعنى رُكَّاب السّفن فى البحر. {وظنوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ الله إِلاَّ إِلَيْهِ}، يعنى المتخلِّفين من غزوة تَبُوك. {إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ الله}، {وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ}. راجع بصائر ذوي التميز ٥٤٦/٢.

(2) لسان العرب ٢٧٢/١٣ "

(3) الفروق اللغوية/ أبو هلال العسكري تحـــ/ عماد زكي /المكتبة التوفيقية مصر ط بدون صـــ ١٠١.

يتصل به "أنّ" المشددة فهو يقين كقوله تعالى:﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴾ا لحاقة آية٢٠ والمعنى في ذلك أنَّ المشددة للتأكيد فدخلت في اليقين والمخففة بخلافها فدخلت في الشك وأما قوله تعالى:﴿وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ ﴾التوبة آية١١٨فالظن فيه اتصل بالاسم والظن بالظاء في جميع القرآن [١]وقال العباس: إنما جاز أن يقع الظن على الشك واليقين؛لأنه قول بالقلب فإذا لاحت دلائل الحق، وقامت أماراته كانت يقينا، وإذا قامت دلائل الشك، وبطلت دلائل اليقين كان كذبا، وإذا اعتدلت دلائل اليقين والشك، كان على بابه شكا لايقينا ولا كذبا.[٢]

الظن رجحان في النفس، وميل بالقلب، وليس قطعا، وغالبا ما تكون الأمور التي يأتي فيها، إما غيبيات أو أمور مستقبلية لايمكن فيها الجزم، وهناك غيبيات هي أشد بيانا، وأكثر برهانا من الأمور الحسية، واعتبار الظن فيها على بابه خروج عن الحق وبعد عن القصد.

"وقد يوقع الظن موقع اليقين في الأمور المتحققة، لكنه لا يوقع فيما قد خرج إلى الحس. لا تقول العرب في رجل مرئيّ حاضر: أظن هذا إنساناً، وإنما نجد الاستعمال فيما لم يخرج إلى الحس [٣]. وقد جاء عكسه وهو التجوز عن الظن بالعلم، كقوله تعالى:﴿ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾يوسف آية٨١ ولم يكن ذلك علما جازما بل اعتقادا ظنيا. وقوله:﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾الإسراءآية٣٦وكان يحكم بالظن وبالظاهر.وقوله:﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾الممتحنة آية١٠وإنما يحصل بالامتحان في الحكم ووجه التجوز أن بين الظن والعلم قدرا مشتركا، وهو الرجحان فتجوز بأحدهما عن الآخر.[٤]

---

(1) الكليات أبو البقاء الكفوي تحـــ عدنان درويش صـــ٥٨٨ مؤسسة الرسالة بيروت ط ٢ سنة ١٩٩٨م ١٤١٩هـــ وينظر بصائر٥٤٥\١٢.

(2) الأضداد – ابن الانباري ص ١٦.

(3) البحر المحيط / أبو حيان ٢٩٣/١.

(4) البرهان في علوم القرآن ٣ /٣٤٦ .

فإن حمل الظن على التوقع والطمع، فمعنى ملاقاته لقاء الثواب ونيل ما عند الله من الكرامة؛ لظهور أن لا قطع بذلك، وإن حمل على اليقين، أو قرئ يعلمون بدل يظنون، فمعناها ملاقاة الجزاء فإنه مقطوع به عند المؤمن؛لأنّ التردّد في يوم الجزاء كفر، لا يصلح أن يذكر في معرض المدح كما هنا، لكن لا يخفى أنّ الرجوع إلى الله المفسر بالنشور أو المصير إلى الجزاء مما لا يكفي فيه الظن بل يجب القطع فعطف قوله:﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾البقرة آية٤٦ الظن مستعمل في التيقن لما مرّ وقد ذكر المشبه[به]فهي تصريحية بلا شبهة وكأنّ النُكتة في استعارة الظن المبالغة في إيهام أنّ من ظن ذلك لا يشق عليه فكيف من تيقنه [1]فاستعمال الظن في اليقين يفيد دلالتين في سياق واحد إحداهما حقيقة والأخرى عن طريق الاستعارة التصريحية التي تريك دواخل نفوسهم من الخوف والرجاء والطمع في رحمة الله.

وجاء التعبير بالفعل المضارع ليدل على التجدد والحدوث، وأنهم يترقبون لقاء الله في كل وقت، فهم في عمل دائم ويقين مستمر، وللفظ الجلالة موقعه في سياق الحرب وشدة البأس وحسن التوكل على الله تعالى﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ البقرةآية٢٤٩وفي مقام العبادة والصلاة تجد للفظ الرب مذاقه الخاص، ودلالته العميقة في هذا السياق، وللإضافة من حسن الموقع، وجمال النظم ما يساهم في ترجيح كون الظن إلى اليقين أقرب.

٧-**من ألفاظ الأضداد لفظة(رهوا)** قال تعالى:﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ * فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ * وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ﴾ الدخانآية٢٢-٢٣-٢٤

(1) الشهاب ٢/٢٤٤.

عند أبي الطيب اللغوي الرهوة:الارتفاع من الأرض والرهوة: الانخفاض من الأرض ورهو البلاد أقصاها وأدناها[1] والرهو في السير هو اللين مع دوامه.. ورها البحر أي سكن...وقال الزجاج: رهوا هنا يبسا، وكذلك جاء في التفسير، كما قال تعالى"فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا"قال ابن الأعرابي: واترك البحر رهوا قال: واسعا ما بين الطاقات، قال الأزهري: رهوا ساكنا من نعت موسى، قال:وأجود منه أن تجعل رهوا من نعت البحر، وذلك أنه قام فرقاه ساكنين فقال لموسى دع البحر قائما ماؤه ساكنا واعبر أنت البحر، وقال خالد بن جنبة: رهوا أي دمثا، وهو السهل الذي ليس برمل ولا حزن. والرهو أيضا: الكثير الحركة، ضد، وقيل: الرهو الحركة نفسها. والرهو أيضا: السريع[2].

إن اللفظ يرسم صورة سيدنا موسى – عليه السلام – وقت عبور البحر وهو يسير في سهولة ويسر، مع خفة في السير وسرعته، وفي نفس الوقت يرسم صورة الماء الذي انفلق فكان كل فرق كالطود العظيم، وهذا يتسق مع كون رهوا وصفا للبحر، فهي صورة للبحر في ارتفاع مائة، وانخفاض الطريق وسطه أشد الانخفاض، ووصف لموسى ــ عليه السلام ــ وقومه وماهم عليه من سهولة السير وسرعته، وتحكي نفسيتهم المضطربة هلعا وخوفا من فرعون وجنده، وماهم فيه من المنعة والسكينة التي أنزلها الله عليهم.

إنها لوحة فنية فيها جمالية الظلال والحركة التي تسرى في انسيابية ويسر وأمن وسكينة مع السرعة والخوف والفزع والرعب من الموت المحقق الذي يحيط بهم، فالماء على جانبي الطريق (وقيل طرق) والسيولة من خصائصه، ومنظر الماء شديد الارتفاع، وهم في الأسفل مما يثير الخوف والهلع، فهو أمر خارق لما ألفوه، والسهولة واليسر والتيسير الذي يجدونه في عبورهم ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ

(1) الأضداد في كلام العرب أبي الطيب اللغوي تحـــ د عزة حسن المجمع العلمي اللغوي دمشق ط٢ ١٩٩٦م صـــ١٩٢.

(2) لسان العرب ٣٤١/١.

أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَاتَخْشَى ﴾ طه آية٧٧والعدو الذي يلاحقهم بجحافله وعدته وعتاده فهذه اللفظة ترسم المشهد بجوانبه المختلفة، وظلاله المتعددة، وتجلي الجانب النفسي المتناقض من الخوف والرجاء، واليأس والطمع، وبين ذلك مايلفهم مشهد الماء كالطود العظيم في شموخه وارتفاعه وضخامته، وموسى ومن آمن به وسط البحر تبصرهم ذرات تتحرك وسط جبلين غاية في الضخامة والعلو، والقوم يتلفتون من فرط خوفهم وشدة هلعهم وتبصر الحركة في انسيابية ويسر. هذا الثراء الدلالي والإعجاز الجمالي لا يمكن للفظة أخرى أن تقوم مقامها أو تؤدي دلالتها.

٨-**ومن الأضداد عمد** في قوله تعالى:﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾الرعدآية١٠.وقرأ الجمهور: عمد بفتحتين. وقرأ أبو حيوة، ويحيى بن وثاب: بضمتين، وبغير عمد في موضع الحال أي: خالية عن عمد. والضمير في ترونها عائد على السماوات أي: تشاهدون السماوات خالية عن عمد. واحتمل هذا الوجه أن يكون ترونها كلاماً مستأنفاً، واحتمل أن يكون جملة حالية أي: رفعها مرئية لكم بغير عمد. وهي حال مقدرة؛ لأنه حين رفعها لم نكن مخلوقين. وقيل: ضمير النصب في ترونها عائد على عمد أي: بغير عمد مرئية، فترونها صفة للعمد..هذا التخريج يحتمل وجهين: أحدهما أنها لها عمد، ولا ترى تلك العمد...والوجه الثاني: أن يكون نفي العمد، والمقصود نفي الرؤية عن العمد، فلا عمد ولا رؤية أي: لا عمد لها فترى. والجمهور على أن السماوات لا عمد لها البتة، ولو كان لها عمد لاحتاجت تلك العمد إلى عمد، ويتسلسل الأمر، فالظاهر أنها ممسكة بالقدرة الإلهية ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاء أَن تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ ونحو هذا من الآيات. وقال أبو عبد الله الرازي: العماد ما يعتمد عليه، وهذه الأجسام واقفة في الحيز العالي بقدرة الله تعالى، فعمدها قدرة الله تعالى، فلها

عماد في الحقيقة. إلا أن تلك العمد إمساك الله تعالى وحفظه وتدبيره وإبقاؤه إياها في الحيز العالي، وأنتم لا ترون ذلك التدبير، ولا تعرفون كيفية ذلك الإمساك انتهى[1].

وهذا فهم القدماء وهو يقترب كثيرا من فهم المحدثين، والآية من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم حيث تفتح المجال لاجتهادات علمية موسعة فقد اكتشفت الجاذبية، ولو اعتمدناها العمد التي تمنع السماء من السقوط على الأرض لكان وجها، وغيرها من الآراء المبنية على البحوث والكشوف الكونية، وما دعا إلى ذلك أن النفي قد يسلط على الرؤية وقد يسلط على العمد[2]وهذا من جماليات الأضداد حيث يدل اللفظ على المعنيين معا من كونها قائمة بغير عمد في مرأى العين وكونها قائمة على عمد لاتُرى بالعين وهذا ما أكده العلم الحديث والاكتشافات الكونية في هذه العصور

ونظير ذلكقوله تعالى:﴿لا يَسْئَلُونَ النَّاسَ إِلْحافاً﴾البقرة ٢٧٣ ولا غير إلحاف. ومثله قولك فِي الكلام: قلما رَأَيْت مثل هذا الرجل ولعلك لم تر قليلا ولا كثيرا من أشباهه.[3]

٩-وهناك أدوات وألفاظ تؤدي معناها وضدهذا المعنى في سياق واحد، يقول ابن جني: فأمّا (هل) فقد أخرجت عن بابها إلى معنى قد، نحو قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ﴾الإنسان آية١ قالوا: معناه: قد أتى عليه ذلك. وقد يمكن

---

(1) البحرالمحيط٥/٣٥٤.

(2) "قوة الجاذبية هي القوة غير المرئية التي يعتمد بناء السماء (عليها) " الطبيعيات في الإعجاز العلمي للقرآن عبد العليم خضر صـــ٢٣١ وذهب زغلول النجار إلى أن هناك أربع قوى توجد في الذرات والجزيئيات وفي كافة أجرام السماء تحكم بناء الكون وتمسك بأطرافه إلى أن يشاء الله (القوة النووية الشديدة ــ القوة الذرية الضعيفة ــ القوة الكهربائية \المغناطيسية ــ قوة الجاذبية) هذه القوى الأربع هي الدعائم الخفية التي يقوم عليها بناء السماء والأرض..إن هذه القوى لابد أن تلتقي في شكل واحد للقوة يمثل وحدة البناء في هذا الكون " السماء في القرآن الكريم ــ زغلول النجار ــ دار المعرفة امصر ط٤ ١٤٢٨هـــ ٢٠٠٧م صـــ ٣٥٠.

(3) معاني القرآن -٠الفراء ١/١٨١.

عندي أن تكون مبّقاة في هذا الموضع على بابها من الاستفهام، فكأنه قال – والله أعلم –: هل أتى على الإنسان هذا؟ فلا بدّ في جوابه من (نعم) ملفوظا بها أو مقدرة، أي فكما أن ذلك كذلك فينبغي للإنسان أن يحتقر نفسه، ولا يبأى (يفخر) بما فتح له. وهذا كقولك لمن تريد الاحتجاج عليه: بالله هل سألتني فأعطيتك! أم هل زرتني فأكرمتك!. أي فكما أن ذلك كذلك فيجب أن تعرف حقّي عليك، وإحساني إليك. ويؤكّد هذا عندك قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُسَمِيعاً بَصِيراً * إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾الإنسانآية ٢– ٣ أفلا تراه –عزّ اسمه –كيف عدّد عليه أياديه وألطافه له.(١)

ومثله خروج الهمزة عن الاستفهام إلى التقرير؛ألا ترى أن التقرير ضرب من الخبر، وذلك ضدّ الاستفهام... ولأجل ما ذكرنا من حديث همزة التقرير ما صارت تنقل النفي إلى الإثبات، والإثبات إلى النفي وذلك كقوله:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايَا... وَأَنْدَى العَالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ

أي (أنتم كذاكم) وكقول الله عزّ وجلّ {آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ} [يونس: ٥٩]، {أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ} [المائدة: ١١٦] أي لم يأذن لكم، ولم تقل للناس: اتخذوني وأمي إلهين، ولو كانت استفهاما محضا لأقرّت الإثبات على إثباته، والنفي على نفيه، فإذا دخلت على الموجب نفته، وإذا دخلت على النفي نفته و نفي النفي عائد به إلى الإثبات(٢)

١١– **ومنه قوله تعالى:**﴿ ثُمَّ يَعُودُونَ لِما قالُوا﴾المجادلة آية٣يصلح فيها في العربية: ثم يعودون إلى ما قالوا، وفيما قَالُوا. يريد: يرجعون عما قَالُوا، وَقَدْ يجوز فِي العربية أن تَقُولُ: إن عاد لما فعل، يريد إن فعله مرة أخرى، ويجوز: إن عاد لما فعل: إن نقض ما فعل، وهو كما تَقُولُ: حلف أن يضربك فيكون معناه: حلف لا يضربك وحلف ليضربنك.(٣)

(1) الخصائص –ابن جني – تحـــ محمد علي النجار –المكتبة العلمية ط دت٢/٤٦٢.
(2) السابق جـــ٢ صـــ٤٦٤.
(3) معاني القران – الفراء تحـــ مجموعة من العلماء ط ١ دار الكتب المصرية ٣/١٣٩.

١٢-وما قد تكون نافية أو استفهامية في نفس الآيةقال تعالى:﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾الأعرافآية١٨٤ يجوز أن تكون ما استفهامية في محل الرفع بالابتداءوالخبر بصاحبهم أيأي شيء استقر بصاحبهم من الجنون؟ وأن تكون نافية حثهم عن التفكير في شأنه ومكارم أخلاقه أولا ثم ابتدأ كلاما آخر ثم قصره على الإنذار المبين تأكيدا لتكذيبهم [١] وفرق بين النفي والاستفهام فالنفي إخبار والاستفهام إنشاءقال تعالى:﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾يوسفآية٢٥(ما) نافية، أي: ليس جزاؤه إلا السجن. ويجوز أن تكون استفهامية، بمعنى: أي شيء جزاؤه إلا السجن، كما تقول: مَنْ في الدار إلا زيد، ويجوز أن تكون {ما} في قوله {وما عملته أيديهم} موصولة معطوفة على {ثمره}، أي ليأكلوا من ثمر ما عملته أيديهم، فيكون إدماجا للإرشاد إلى إقامة الجناة بالخدمة والسقي والتعهد ليكون ذلك أوفر لأغلالها. وضمير {عملته} على هذا عائد إلى اسم الموصول. ويجوز أن يكون {ما} نافية والضمير عائد إلى ما ذكر من الحب والنخيل والأعناب. والمعنى: أن ذلك لم يخلقوه[٢].والإثبات والنفي نقيضانولو تتبعت ذلك لطال الحديث في تتبع الأدوات التي تفيد الأضداد وهو يكفي لإقامة بحث وتكفي الإشارة.

(1) الفتوحات الإلهية – الجمل – دار إحياء التراث العربي – ط دت٢/٢١٥، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم – عضيمة–٣/١٣٨ وفيه استعمالات متعددة للأدوات في المعنى وضده في الآية نفسها.

(2) التحرير والتنوير م ٢٣/١٤.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على من ختمت به الرسالات وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإيمان واقتفى أثرهم بإحسانإلى يوم الدين

وبعد...؛

فبعد هذا الجهدفي مبحث طريف في ضروب اللغة العربية ومسالكها أرجو أن أكون قد وفِّقتُ في تجلية ظاهرة الأضداد وبيان أثرها في الدرس البلاغي، ودورها في إثراء البيان القرآني، وهذه أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

١- أكد البحث أن الأضداد من عوامل إثراء اللغة العربية؛ لأن الألفاظ متناهية والمعاني غير متناهية بها تتغازر المعاني، وتتوسع الدلالة، وتجعل النص يتحمل آفاقا من التأويل والتحليل والجدل والمراوغة؛ لتتعدد الرؤى، وتتنوع القراءات، وهذا أجدى من أحادية الرؤية وانحسار الدلالة.

٢- التأكيد على أن الأضداد ظاهرة طريفة في اللغة العربية وغيرها من اللغات الإنسانية الحية وقد حاول بعض اللغويين إنكارها والتقليل من شأنها وهي ظاهرة موجودة في القرآن الكريم – وابن عاشور يقول: ولعل اختيار هذه المادة هنا مقصود، لاحتمالها حكمين، ليكون الكلام موجها فيحمل على كلا معنييه لعدم تنافيهما، وهذا من وجوه الإعجاز.

٣- يجب ألا ينظر إلى ألفاظ بعينها – مما ذكره القدماء في كتب الأضداد –على أنها من الأضداد فحروف المعاني وكثير من الصيغ وبعض الأساليب تدخل في باب الأضداد بل طريقة نطق الكلمة ومد الصوت والتنغيم تجعل الكلام يتحول إلى الضد وينقلب المدح قدحا والثناء تهكما ورياء والتكريم إذلالا ومهانة، وأرى دراسة الأضداد في ظل مصطلح أعم وأشمل هو المفارقة.

٤- تحامل بعض الباحثين بنفي الأضداد عن القرآن الكريم وتجشموا لذلك طرقا وعرة المسالك كثيرة المهالك معتقدين أنهم يربأون بالقرآن الكريم عن التعمية والإبهام والغموض والإلغاز ولعل ما حملهم على ذلك هو نظرتهم للشعر المستشهد به وما سطر ودون في كتب الأضداد من شواهد فلم ينطلقوا إلى آفاق اللغة وسعة المعاني وتكاثرها والحاجة إلى التعبير بصور متآلفة أحيانا متناقضة أحيانا أخرى.

٥- إن القرينة في الأضداد غير مانعة من إرادة المعنى الحقيقي وفي المجاز مانعة من إرادة المعنى الحقيقي وقد ألح القدماء على التفرقة بين المجاز والمشترك اللفظي –والأضداد نوع منه – وعلى رأسهم الإمام عبدالقاهر وتبعه شراح التلخيص وغيرهم من القدماء وقل من تبعهم من المحدثين وأرى أنها مقدمة لازمة لدراسة المجاز والتفريق بين القرينة فيه وبين القرينة في المشترك بشقيه فلولا القرينة ما وجد المجاز.

٦- وظف القرآن الكريم الأضداد في القضايا الاجتماعية والإنسانية الكبرى فنظر إلى الحياة الزوجية بين الرجل والمرأة وما يعتري العلاقة بينهما من انفصال وانفصام وشقاق وخصام فنظر إلى قطبي الرحى نظرة مزدوجة تراعي مصالح الأسرة حتى بعد انفصام عرى الزوجية وزوال ماكان بينهما من اتصال لتحفظ لكل حقه الرجل في فراشه والمرأة في النفقة والسكنى وغيرها والطفل في إرضاعه من أمه فلا ينتزعه الأب منهاحال الإرضاع والأم تعتني بولده وترعاه، وأيضا ترجيح العفو من جانب الزوج الذي لم يدخل بزوجته ومن جانب ولي الزوجة التي لم تدخل بزوجها، وغير ذلك مما تعرض له البحث.

٧- عبر القرآن الكريم عن المواقف النفسية والشعورية المتناقضة التي تتعانق فيها الفرحة بالألم والنجاة بالغرق والأمن بالخوف والفزع، فعبر عن ذلك

بلفظة من ألفاظ الأضداد التي تحمل في طياتها هذه المعاني لترسم صورة دقيقة لسيدنا موسى وقومه وقت الهول والفزع والخوف والرعب والنجاة من عدوهم الألد.

٨- ورد في القرآن الكريم صورا من الألفاظ تدل على المعنى وضده لأغراض مقصودة، والآية تحمل في طياتها أدوات وألفاظًا وأساليب قد تراد وقد يراد معها عكس هذه ولو تتبعنا هذه الشواهد وجمعناها إلى نظائرها فدرسنا أدوات لها معان وضد تلك المعاني في نفس الآية والسياق يرشح لهذا المعنى وهذالكان أجدى على الدرس البلاغي وكتب التفاسير مليئة بالتأويلات المتعددة، ومن يراجع كتاب الشيخ محمد عبدالخالق عضيمة- الذي عبد الطريق وألان حزنه، ومهد صعبة، يجد كثيرا من الآيات القرآنية متعددة التأويلات.

٩- تطلب القراءات القرآنية مزيدا من التتبع والاستقصاء والكشف عن التضاد الحاصل من اختلاف القراءات وفي ذلك إثراء للدرس اللغوي والبلاغي.

١٠- لعل انصراف كثير من البلاغيين المحدثين عن دراسةالأضداد في المفردةيرجع إلى عدم توحد المصطلح بين البلاغيين فهو يرد الإبهام ومحتمل الضدين، والتوجيه، و الذم في صورة المدح، وهو ماأدى إلى تشتت المصطلح في كتب البلاغة والأدب.

١١- هناك من وسع مفهوم الأضداد وأورد شواهد متعددة كابن القيم وابن الأثير والغرناطي وابن معصوم المدني وهم أولى بالمتابعة والدرس من شراح التلخيص لوفرة شواهدهم وتنوعها وتعددها ولايجب أن نتوقف في دراسة الأضداد على الكلمة المفردة بل من الصوت إلى النص ومن التنغيم إلى الإبهام ومدى مقدرة النص على بسط حبائله حول المتلقي، ليقع في شراك المعنى وتناقض الدلالة؛ ليلمح أنوار النص المتوارية خلف ظلاله.

فهرس المراجع

- أبو الطيب المتنبي شاعر العروبة وحكيم الدهر –عبد العزيز الدسوقي– المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ط١ ٢٠٠٦م.
- أحكام القران الجصاص تح محمد الصادق قمحاوي بيروت ١٤١٢ه ١٩٩٢م.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم – أبو السعود العمادي– تح: عبد اللطيف عبد الرحمن – دار الكتب العلمية بيروت ط١ ١٤١٩هـ ١٩٩٩م.
- أسرار البلاغة –عبد القاهر الجرجاني – تح: محمود شاكر – المدني ط دت.
- الاشتراك والتضاد في القرآن الكريم دراسة إحصائية – أحمد مختار عمر – عالم الكتب القاهرة.
- الأضداد – قطرب– تح: حنا حداد– دار العلوم – الرياض ط١ ١٤٠٥ ه ١٩٨٤م.
- الأضداد – محمد بن القاسم الأنباري – محمد أبو الفضل إبراهيم – المكتبة العصرية بيروت ١٩٨٧م.
- الأضداد في كلام العرب – أبو الطيب اللغوي– تح: عزة حسن – المجمع العلمي اللغوي – دمشق ط٢ ١٩٩٦م.
- الأضداد في اللغة – محمد حسين آل ياسين ــ المعارف ــ بغداد ــ ط١ ١٣٩٤هـ١٩٧٤م.
- الأضداد في اللغة العربية دراسة صوتية – أحمد الفيومي– مطبعة السعادة ط ١ – ١٤١٢ هـ ١٩٩١ م.
- الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ دراسة تحليلية للإفراد والجمع في القرآن– الخضري– مطبعة الحسين الإسلامية ط ١ ١٤١٣هـ ١٩٩٣ م.

- أمالي المرتضى في التفسير والحديث والأدب – للشريف المرتضى – الخانجي ط١ ١٣٢٥هـ ١٩٥٧ م.
- أنوار الربيع –لابن معصوم المدني تحـ:–شاكر هادي شكر – النجف العراق – ط١ ١٩٦٨م ١٣٨٨هـ.
- الإيضاح في علوم البلاغة –القزويني– تح: محمد عبد المنعم خفاجي ط٤ / ١٩٧٥ م ١٣٩٥هـ.
- البرهان في علوم القران – الزركشي – محمد أبو الفضل إبراهيم – دار التراث ط٣ ١٩٨٤م.
- البرهان في وجوه البيان – الحسن بن وهب –تح: مطلوب وخديجة الحديثي – بغداد –١٣٨٧هـ ١٩٦٧م
- البحر المحيط–أبو حيان – تح: عادل عبد الموجود وعلي معوض الكتب العلمية – ط١ ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز – الفيروزبادي – تحـ حمد علي النجار – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية –ط٣ ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.
- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية – محمد حسنين أبوموسى – مكتبة وهبة ط٢.
- تاريخ آداب العرب –مصطفى صادق الرافعي – دار الكتاب العربي ط٤ – ١٩٧٤م ١٣٩٤هـ .
- تجريد البناني على مختصر السعد التفتازاني على متن التلخيص– طبع إبراهيم عبد الغفار الدسوقي ط ١٢٨٥هـ.
- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر– ابن أبي الإصبع المصري – تح: حفني شرف – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ط دت.

- التحرير والتنوير – للطاهر بن عاشور– ط دار سحنون للنشر والتوزيع ط دت.
- التضاد في ضوء اللغات السامية دراسة مقارنة – ربحي كمال – دار النهضة العربية ١٩٧٥م.
- التضاد في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق – محمد نور الدين المنجد – دار الفكر دمشق – ط١ – ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م
- جامع البيان في تأويل القرآن –لابن جرير الطبري – تح: أحمد محمد شاكر – مؤسسة الرسالة – ط١ ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.
- جامع العبارات في تحقيق الاستعارات ـ أحمد مصطفى الطرودي التونسي ـ تح: محمد رمضان الحربي ـ مكتبة الآداب مصر ط١ – ـ ٢٠١٠م ١٤٣١هـ.
- خزانة الأدب وغاية الأرب – ابن حجة الحموي – تحـ عصام شعيتو – دار الهلال –ط١ ١٩٨٧م.
- حاشية السيوطي على سنن النسائي ومعه حاشية السندي –مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب ط٢ ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.
- الخصائص –ابن جني – تحـ محمد علي النجار – المكتبة العلمية – ط دت.
- دراسات في علم البديع –أحمد محمد علي – مطبعة الأمانة – ط١ ١٤٠٦هـ ١٩٨٦ م.
- دراسات في فقه اللغة– صبحي الصالح – دار العلم للملايين بيروت – ط١٦– ٢٠٠٤م.
- دراسات في فقه اللغة – محمد الأنطاكي – دار الشروق بيروت – ط ٤ ط دت.
- دراسات لأسلوب القرآن الكريم – محمد عبدالخالق عضيمة – دار الحديث القاهرة – ط د.ت.

- دلالة الألفاظ على المعاني عند الأصوليين دراسة منهجية تحليلية- محمود توفيق سعد – مكتبة وهبة ط١ ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩ م.
- الدلالة السياقية عند اللغويين – عواطف كنوش المصطفى – دار السياب للطباعة لندن ط١ ــ ٢٠٠٧م.
- دور الكلمة في اللغة- ستيفن ألمان – كمال بشر – دار الشباب – ط د ت.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي – تح: علي عبد الباري عطية- الناشر: دار الكتب العلمية ط١ ١٤١٥هـ.
- السماء في القرآن الكريم –زغلول النجار–ـ دار المعرفة – مصر ط٤ ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م
- شرح الطيبي على مشكاة المصابيح- تح: عبدالحميد هنداوي مكتبة نزار الباز ط٢-١٤٢٥ه ٢٠٠٤م.
- الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها – ابن فارس تحـ عمر فاروق الطباع – مكتبة المعارف – بيروت ١٤١٤ هـ ١٩٩٣م.
- الطبيعيات في الإعجاز العلمي للقرآن عبد العليم خضر- ط د.ت.
- طراز الحلة وشفاء الغلة – الغرناطي–تح: رجاء السيد الجوهري – مؤسسة الثقافة الجامعية إسكندرية مصر – ط د. ت.
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز- العلوي – تحـ محمد شاهين – دار الكتب العلمية ط١ ١٤١٥هـ١٩٩٥م.
- العقد الفريد – ابن عبد ربه –تح: مجموعة من العلماء – الهيئة العامة لقصور الثقافة – ط دت
-علم الدلالة – أحمد مختار عمر – عالم الكتب ــ ط٥ ــ ــ ١٩٩٨م.

- العمدة في محاسن الشعر وآدابه – ابن رشيق – تحـــ محمد عبدالقادر عطا –دار الكتب العلمية ط١ ١٤٢٢هـــ ٢٠٠١ م.
- العين مرتبا على حروف المعجم – الخليل بن أحمد الفراهيدي – تحـــ عبد الحميد هنداوي – دار الكتب العلمية ط ١ ٢٠٠٣م ١٤٢٤ هـــ.
- الفتوحات الإلهية المسمى حاشية الجمل على الجلالين – الجمل – دار إحياء التراث العربي – ط د.ت.
- الفروق اللغوية – أبو هلال العسكري – تحـــ عماد زكي – المكتبة التوفيقية – مصر – ط دت
- فصول في فقه اللغة العربية – رمضان عبد التواب – الخانجي ط ٦ –١٤٢٠ هـــ ١٩٩٩م.
- الفلك الدائر على المثل السائر تحـــ الحوفيوطبانة دار االرفاعي الرياض ط٢ ١٤٠٤هـــ ١٩٨٤م.
- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان –ابن القيم – ط١ ١٤٠٢هـــ ١٩٨٢م.
- في ظلال القران في ظلال القرآن – سيد قطب – دار الشروق – ط١٧ – ١٤١٢هـــ.
- في اللهجات العربية ـــ إبراهيم أنيس ـــ الأنجلو المصرية –٢٠٠٣م.
- قلب كافوريات المتنبي – حسام زادة – تح: حمد الشيخ – المكتب الجامعي الاسكندرية.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل – محمود بن عمر الزمخشري – دار الفكر – ط دت.

- الكليات – أبو البقاء الكفوي – تح: عدنان درويش مؤسسة الرسالة بيروت ط ٢ سنة ١٩٩٨م ١٤١٩هـ.
- اللباب في علوم الكتاب – ابن عادل الحنبلي الدمشقي – تحـ مجموعة من العلماء – دار الكتب العلمية بيروت ط١ – ١٩٩٨م ١٤١٩ هـ.
- لسان العرب جمال الدين بن منظور – دار صادر – ط٣ ١٤١٤هـ ١٩٩٤م
- اللغة العربية مبناها ومعناها – تمام حسان – دار الثقافة –المغرب ط د.ت.
- المتنبي – محمود محمد شاكر مطبعة المدني ط د.ت.
- المثل السائر في أدب الكتب والشاعر لابن الأثير – محمد محي الدين عبد الحميد – المكتبة العصرية صيدا – بيروت ط١٤١١هـ ١٩٩٠م.
- المجاز وأثره في الدرس –اللغوي محمد بدري عبد الجليل– دار النهضة العربية لبنان – ط ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م.
- مجلة مجمع اللغة العربية مصر عـدد – صفر ١٣٥٤هـ مايو ١٩٣٥م.
- المخصص لابن سيده – المحقق: خليل إبراهم جفال – الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.
- مدخل تعريف الأضداد – حسين نصار – مكتبة الثقافة الدينية مصر ط١ ١٤٢٣١هـ ٢٠٠٣م.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها – السيوطي – مجموعة من العلماء – المكتبة العصرية بيروت ط١٤٠٨هـ١٩٧٨م.
- مسند ابن أبي شيبة المصنف \الابن أبي شيبة– تحـ محمد عوامة – دار قرطبة بيروت– ط١ ١٤٢٧ه ٢٠٠٦م.
- المشترك اللغوي نظرية وتطبيقا – توفيق شاهين – مكتبة وهبة –ط١ ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

- المطول شرح تلخيص المفتاح – التفتازاني – ومعه حاشية السيد الشريف دار إحياء التراث العربي – ط١ ١٤٢٥هـ٢٠٠٤ م.
- معاني القران – الفراء– تح: مجموعة من العلماء الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر.
- معجم مفردات ألفاظ القرآن –الراغب الأصفهاني – إبراهيم شمس الدين دار الكتب العلمية ط١ ١٤١٨ه ١٩٩٧م.
- المعجم المفصل في الأضداد، أنطونيوس بطرس – دارالكتب العلمية ط١ ١٤٢٤هـ٢٠٠٣م
- المعجم الوسيط – مجمع اللغة العربية – مصر ط د.ت.
- المفارقة القرآنية دراسة في بنية الدلالة محمد العبد دار الفكر ط١ ١٤١٥ه ١٩٩٤م.
- مفتاح العلوم –السكاكي– تح: نعيم زرزور – دار الكتب العلمية ط٢ ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.
- مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح – أبو يعقوب المغربي –ضمن شروح التلخيص – دار السرور بيروت.
- مجمع الأضداد – عرفان مطرجي مؤسسة الثقافة – ط١ ط د.ت.
- الانصاف في التنبيه على المعاني والأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم – ابن السيد البطليوسي – تحـ محمد رضوان الداية – دار الفكر دمشق ط٣ –١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور– البقاعي – تحـ عبدالرازق المهدي – دار الكتب العلمية ط١ ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.
- نقد النثر – الطبوع خطأ لقدامة – تحـ طه حسين وعبد احميد العبادي– ط لجنة التأليف والنشر – ط١٣٥٦ هـ١٩٣٧م.